جامعة دمشق
سيرة الكتب والمطبوعات
المكتبة

الدكتورة
خيال الجواهري
قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب – جامعة دمشق

الدكتور
هاشم حمادي
قسم المكتبات والمعلومات
كلية الآداب – جامعة دمشق

تاريخ الكتب والمكتبات

المقومون العلميون

د. أحمد حامدة د. عطا الله الرمحين د. كامل عمران

لطلاب السنة الأولى – كلية الآداب

حقوق التأليف والنشر محفوظة لجامعة دمشق

منشورات جامعة دمشق

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

فهرس المحتويات

المقدمة ٥

الفصل الأول : خزائن العصور القديمة

آ – اختراع الكتابة ٧

ب – مراحل الكتابة ٧

جـ – أنواع الكتابة ٩

د – مواد الكتابة ١٢

هـ – أمثلة عن المكتبات القديمة ١٨

الفصل الثاني : الكتب والمكتبات في الحضارات القديمة

أولاً – الصين ٢٩

ثانياً – الهند ٣٠

ثالثاً – في الحضارة الفارسية ٣١

رابعاً – في الحضارة الإغريقية – الرومانية ٣١-٣٤

خامساً – في الحضارات الأمريكية القديمة ٣٥

سادساً – مواد الكتابة وأدواتها ٣٦

الفصل الثالث : الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية

آ – العصر الجاهلي ٤٠

ب – نشأة وتطور الخط العربي ٤٢

جـ – الكتب والمكتبات في العصر العباسي ٤٧

د – العوامل التي أدت إلى نشوء المكتبات ٦٣
هـ – أهم الملامح للمكتبات في العصر العباسي ٦٦
و – أنواع المكتبات مع الأمثلة ٧٠
ز – نهاية المكتبات ٨٤

الفصل الرابع : الكتب والمكتبات في أوربا والشرق الأقصى

١ – في العصور الوسطى ٨٧
آ – في أوربا ٨٧
ب – في الشرق الأقصى ٨٨
٢ – في عصر النهضة ٩٨
٣ – في عصر الطباعة ١٠١
٤ – المكتبات الوطنية في أوربا ١٠٥

الفصل الخامس : المكتبات في العصور الحديثة

آ) نشوء وانتشار الطباعة في الوطن العربي ١١١
ب) المكتبات الوطنية في البلدان العربية ١١٤

المقدمة

تاريخ الكتاب هو تاريخ رغبة الإنسان في حفظ موروثه الفكري ووضعه في متناول الأجيال اللاحقة . وهو بالإضافة إلى ذلك ، والأهم من ذلك ، ترجمة هذه الرغبة إلى واقع محسوس .

فعلى مرّ العصور حاول الإنسان تدوين مشاعره وأفعاله ومشاهداته على جدران المغاور والكهوف أولاً ، ومن ثم على ألواح الطين وسعف النخيل وورق البردي والرق ومن ثم الورق فأشرطة التسجيل والأسطوانات وأخيراً أجهزة الكمبيوتر والأنترنيت .

وفي هذا الكتاب محاولة للإحاطة بإيجاز بما مرّ به الكتاب والمكتبات عبر العصور المختلفة ولدى الشعوب والحضارات المختلفة ، بدءاً من بلاد ما بين النهرين والحضارات القديمة في بلدان الشرق الأقصى ، وانتهاءاً بالواقع الحالي للكتاب والمكتبات في ظل التطور والتقدم العالمين .

ولدى البحث في مسيرة تطور الكتاب والمكتبات في البلدان الأجنبية لم نجد مرجعاً أفضل وأدق وأكثر علمية وموضوعية من كتاب « تاريخ الكتاب » للبروفيسور اليوغسلافي الكسندر سيتنشيفيتش ، الصادر عن « عالم المعرفة » الكويتية في مجلدين ، بترجمة الدكتور محمد الأرناؤوط ، ولقد استعرضنا مادة هذين المجلدين ، اللذين يقعان في زهاء ٥٠٠ صفحة ، وانتقينا الأكثر منها أهمية وضمناها هذا الكتاب ، بالإضافة إلى عدد من المراجع الأخرى .

أما بالنسبة للمادة المتعلقة بالتأريخ للكتاب والمكتبات عند العرب والمسلمين فقد اعتمدنا على عدد من المراجع العربية ، وهي للأسف لاتزال قليلة ، وتكاد تتشابه مع بعضها .

نرجو أن نكون قد وفقنا في اختيار هذه المعلومات ، التي نضعها بين طلاب السنة الأولى في قسم المكتبات . والتي نأمل أن تعطيهم تصوراً واضحاً عن مسيرة الكتاب والمكتبات ومراحل التطور ، التي مرّا بها عبر العصور وفي الحضارات المختلفة .

دمشق ١٩٩٨

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الأول
خزائن العصور القديمة
القسم الأول

آ – اختراع الكتابة :

مرّت الكتابة منذ القدم بتطورات وفقاً لتطور المجتمعات البشرية التاريخي ولتطور الإنسان ووعيه لما يدور حوله وتفاعله مع الواقع ، الأحداث والظواهر ، ومن خلال تسجيل أفكاره والتعبير عن مجريات حياته اليومية وتدوين ملاحظاته ، بوساطة النقش والرسوم على الصخور ، والأبنية والجدران والكهوف . التي حولت هذه الخطوط الرائعةوالتي دلت على خبرة أصحابها في مجال رسم الأحداث والذين تمكنوا منذ آلاف السنين أن يبدعوا في استخدام مهاراتهم وتصوير الجوانب المتعددة من حياة المجتمع الذي عاشوه في تلك المرحلة من التاريخ .

كان ذلك دليلاً على وجود الحضارات التي خلفها الآشوريون ، والبابليون والسومريون والفراعنة والصينيون ... إلخ .

بدأت النقوش والخطوط أو الرسوم تتخذ أشكالاً وأنماطاً متعددة ، يمكن أن نقسمها الآن إلى مرحلتين أساسيتين هما :

آ – الكتابات المعبرة عن المعاني Sema Sioqraphy :

وهي الكتابة التي عبر فيها الإنسان عن أحداث حياته المعيشية بالصور التي يفهم منها الأشياء المراد بها التفاهم ، وبعد ذلك أخذت صيغة الرموز للأشياء مثل الشمس ترمز للنهار ، أو اليوم ، والقدم يُعبر معناها عن الذهاب والخروج أو العودة . ومثال على ذلك الكتابات الأولية مثل الكتابة المسمارية (Cunciform)والكتابة الهيروغليفية (Hyrogliph) أو الكتابة السومرية المصورة . وآخرها الكتابة التصويرية وما يسمى مرحلة الصورة Ideoqram وكانت على أنواع وهي :

آ – الخط الهيروغليفي في مصر .

ب – الخط الحثي في بلاد الشام .

جـ -- الخط الصيني في بلاد الصين .

د -- الخط الآشوري في القرن السابع وانتهى إلى الخط المسماري .

هـ -- الخط المسماري وكان في النصف الثاني من عصر الوركاء في حدود ٣٥٠٠ ق.م .

وكذلك مرت الكتابة في هذه المرحلة بما يسمى الرمز (Symbol) وذلك بعد أن ترجمت أفكار الإنسان في هذه الفترة بالصور وبعد مرور فترة زمنية استعملت الرموز للأشياء مثل الشمس ، والقدم واليد ، والفم يعني الأكل .

تطورت الكتابة إلى مرحلة المقطع Syliabi gue باكتشاف القلم والانتقال من الكتابة الصورية إلى الرمزية كما في الكتابة البابلية والمصرية القديمة .

ب – الكتابة المعبرة عن الأصوات Phonography :

في هذه المرحلة بدأ الإنسان بجرد الأشياء مستعملاً أفضل الوسائل . فتوصل إلى كتابة الأحرف إلى مقاطع من حرفين (الكتابة المقطعية) لدى المصريين القدامى والأكاديين والساميين وفيه تكونت مرحلة الهجاء الأولى مثل (آ) تعني ماء و (ك) تعني كلباً وهذا ما سمي المصطلح (Determination) .

بعد ذلك توصل الإنسان إلى الالفبائية التي تعتمد الصوت .

ولقد تعددت الآراء حول بداية الكتابة ، وشكلها ، ونوعها ، ومتى وأين ؟ فبعض المصادر اعتمدت في تحديد مولد الكتابة ، على نوعها أو شكلها وذلك منذ أن بدأت تأخذ بالتعبير عن فكرة أو حدث .

إلاّ أن أكثر المصادر تشير إلى أن بدايات الكتابة كانت في بلاد ما بين النهرين (العراق) الآن ، وذلك اعتماداً إلى بداياتها ، والتي سميت بالكتابة المسمارية أو الاسفينية . إذ جاء في أبسط أنواعها ، ومنذ اختراعها في عصر أوروك (٣٨٠٠-٣٥٠٠ ق . م) ، حيث تقع أطلال (الوركاء) ما بين بغداد والبصرة وهي « أرك » التوراة كانت المدينة مكرسة في القديم للإلهين « آنو » و« انانا » وفي هذا العصر حلت الأختام الاسطوانية ونقشت عليها النباتات والحيوانات والصور الميثولوجية والمعارك والطقوس الدينية . وكانت تصنع من الأحجار الكريمة ومسطحة .

جـ – أنواع الكتابة :

آ – الكتابة المسمارية (Cuneiforme) :

تعد الكتابة المسماريه من أشهر وأقدم الكتابات التي عرفها التاريخ ، فقد اخترع السومريون كتاباتهم هذه قبل أن يبدأ المصريون استخدام العلامات الصوتية في كتاباتهم بعدّة قرون . وبحث علماء الآثار في بداية الكتابة ، وأكدّ بعضهم ، وجودها في الشرق القديم الذي يعد مهد الحضارات الإنسانية الأولى (ويقصد بالشرق القديم منطقة بلاد الرافدين والشام والشرق الأدنى بعامة ومصر) ، وقد عثر علماء الآثار أثناء التنقيب في مدينة نيبور (Nippuer) جنوب العراق على مجموعات ضخمة من هذه الرقم أو الألواح الطينية (انظر مواد الكتابة) يعود تاريخها إلى (٤٠٠٠) سنة قبل الميلاد .

ويذكر بعض العلماء أن الكتابة المسمارية بدأت في العراق في عصر أوروك (بحدود ٣٨٠٠-٣٥٠٠ ق . م) حيث بدأت هذه الكتابة بهيئة صور للأشياء المراد تدوينها ، وهذا ما يعرف بالطور الصوري (Pictography) الذي استعمله السومريون للتعبير عن لهجتهم المنطوقة . كانت موضوعات هذه المرحلة سجلات بسيطة لأملاك المعبد وواردات .

كانت هذة الكتابة في في أولى أطوارها مولفة من علامات صورية نحو (٢٠٠٠) علامة ولكنها بمرور الزمن اختصرت وأصبح عندها في عهد جمدة نصر زهاء ٦٠٠ علامة ، وتكونت من صور ذات دلالات حيوية ، رسمت بخطوط مقوسة ومستقيمة ، حتى بلغت عام ٢٥٠٠ ق ، مرحلة متطورة ، وبعد سبعة قرون أخرى اتخذت خمسة أشكال فقط . وعدت هذه الكتابة إحدى اللهجات التي كانت تستعمل في الرافدين والإيبلائية في سورية والكنعانية التي تضمنت لهجات فرعية مثل اللهجة الاوغاريتية اللهجة الفينيقية ، كما كانت اللغة السومرية هي اللغة الثقافية في ذلك الوقت ، ولأنها لغة الكتابة المسمارية فهي تقسم إلى نوعين حسب اللهجات :

١ - مجموعات اللغات السامية المكتوبة بالعلامات المسمارية الاسفينية على شكل مقاطع وتشمل الكتابات الأكادية ، الايبلوية ، والآشورية والبابلية والآشورية والبابلية والكنعانية .

٢ – مجموعة اللغات السامية التي كتبت بالرموز الأبجدية (الألفبائية) بطريقة (Letter) وتشمل الكتابة الاوغارتية والفينيقية والآرامية والعبرية .

٢ – الكتابة المصرية (Hiroghliph) :

كانت الكتابة المصرية القديمة الهيروغليفية في البداية بسيطة ، اشتهرت بها حضارة وادي النيل ، كانت على شكل رسوم مصحوبة ببعض الرموز قريبة للزخرفة أو زينة تصويرية ، وأول من اكتشفها الاغريقيون وهم من سموها بالهيروغليفية لما اتسمت من رسوم تعبيرية جميلة كانت تتم برسم خطوط متموجة مثل الشمس أو النهار برسم دائرة ووسطها نقطة ، وعن الحزن برسم عين تدمع . كان ذلك في عصر الأسرة الأولى في مصر ، وعدت من أقدم الخطوط منذ بداية العصر الحجري حتى عصر السلالات . واستعملت منذ (٢٩٠٠ ق. م – ١٠٠ق . م) .

تطورت هذه الكتابة عبر ثلاث مراحل وهي :

آ – الخط الهيروغليفي (Hiroghliph) :

بدأ هذا الخط بإشارات ورسوم تعكس ما في الحياة الطبيعية للإنسان والحيوان والنبات ، تعد من أقدم الخطوط المصرية وظل استعماله من القرن الأول الميلادي حتى نهاية القرن الثالث الميلادي ، استعمل في الرسوم على جدران المعابد والقبور وتسجيل الأحداث الدينية .

مرَّ هذا الخط الهيروغليفي بثلاثة تطورات أساسية هي :

١ – الكلمات المصورة : Logogram – deoegram .

٢ – الرموز الصوتية : Phonogram .

٣ – الرموز الدالة : Detemination وهي رموز تدل على المصطلحات .

ب – الخط الهيراطيقي (Hiratic) :

ومعناهُ خط الكهنة أو الخط الكهنوتي ، حيث اختزلهُ المصريون منذ أوائل عصرهم . واستعمل من قبل الكهنة ودونت به آداب المصريين . ولم يستعملهُ باقي العامة من الشعب .

جـ – الخط الديموطيقي (Demotic) :

سمي هذا الخط بالشعبي لأنهُ استعمل بصورة واسعة بين العامة ، و لم يكن محتكراً على جماعة معينة ، إنما كتب به في مختلف مجالات الحياة العامة ، كـان ذلـك في القـرن العاشر ق.م . وبعد دخول المسيحية إلى مصر عندما كتبوا لغتهم بحروف يونانية .

٣ – الكتابة الايبلوية :

اكتشفت هذه الكتابة أثناء التنقيبات الأخيرة بمدينة إيبلا من قبل خبراء مختصين، عثر على الواح طينية يعود تاريخها إلى الفترة (٢٤٠٠ – ٢٢٥٠) قبل الميلاد .

وبعد فك رموزها توضح أنها تكتب من أعلى إلى أسفل كمـا هـو في الكتابـة الصينية ، أما الأسطر فتقرأ من اليسار إلى اليمين ومن الزاويـة العليـا ونـزولاً ، كتبت بالخط المسماري في مدينة (الاكروبول : مدينة إيبلا) .

تميزت هذه الألواح بوجود أقدم معجم لفظي بين لغتين ، وأقـدم عـرض لفظـي للمفردات الواردة في المعجم الذي يعود تاريخه إلى سنة ٢٣٠٠ ق.م .

٤ – الكتابة الأبجدية AL-phabeta :

أول كتابة صرفة ظهرت لدى الفينيقيين قبـل سـنة ١٥٠٠ ق.م ، ويعـود فضـل اختراع هذه الكتابة إلى الفينيقيين الذين كانوا تجاراً في البر والبحـر ، وبعـد ظهـور أول كتابة مقطعية وجدت في بلاد سومر (العـراق اليـوم) وتحـول الكتابـة مـن المقطـع إلى الحرف وصلت إلى مرحلة الكتابة الأبجدية ، والتي تعـد الطفـرة النوعيـة لتطـور الكتابـة وتسجيل الإبداع الثقافي والمعرفي . ومن خلال الكشوفات الـتي وجـدت في رأس شمـرا وبيبلوس ، من الأرجح أنه كان هناك نوعـان مـن الحـروف ، أحدهمـا وهـو الـذي لم يستمر طويلاً وتكون من ثلاثين حرفاً ، أما الآخـر فكـان يتكـون مـن اثنـين وعشـرين حرفاً كلها كان ساكناً . وهي الكتابة الألفبائية السـامية المبسـطة . وأقـدم نـص كتـب بالحروف السامية يعود إلى ١٠٠٠ ق.م .

نقـل الفينيقيـون أبجديتهـم إلى اليونـان فيمـا بـين ١٠٠٠ و ٧٠٠ ق.م . ومـن اليونان انتقلت الأبجدية في ثوبها الجديد إلى روما ومنها إلى غرب أوروبا ، كمـا نقلهـا التجار شرقاً .

د – مواد الكتابة :

تعددت مواد الكتابة في العصور القديمة حسب الأساليب المتبعة وما كان متوافراً للإنسان ، ثم تطورت حسب الحاجة والضرورة لذلك ، ابتداءً من الرقوق (الحجارة البيضاء) إلى سعف النخيل أو جدران الكهوف والمعابد ، حتى اعتماد الكتابة على الورق .

١) – الألواح الطينية :

وجدت الألواح الطينية في بلاد الرافدين منذ خمسة آلاف عام للكتابة عليها من قبل السومريين وذلك لوفرة الطين وكتب عليها بعد أن مرت بعدة مراحل طويلة الأمد من بداية تدوين الإنسان لملاحظاته على الصخور والرقوق (أي الحجارة البيضاء) .

استعملت الألواح للكتابة عليها كمادة أساسية ، بعد أن تمر بعدة خطوات للتحضير أولها الأتربة بكميات كبيرة وتنظيفها من الأوراق الشجرية وما علق بها ، ثم يجري ترطيبها بوساطة الماء حتى تصبح قوالب طينية مستديرة أو مربعة ومستطيلة الشكل ، وتجفف بوساطة عرضها للشمس أو فخرها بالنار ، بعد الكتابة عليها وهي طرية . كانت الأداة على شكل قلم من المعدن أو النحاس ، يكون رأسها مثلث الشكل وغير حاد ، وتأخذ شكل الزوايا (Cuneiforme) أي الخط المسماري ، الذي كان انعكاس لضغط الأداة على الطين ورسم الزوايا على شكل صور ذات معنى مثال ◁ ، كانت الكتابة المسمارية قد أخذت طابعها الأخير ، جمعت وحفصت هذه الألواح التي تعد من أقدم المجموعات التي اكتشفت من قبل لجان التنقيب الأراضي في مدينة لكش والتي يعود تاريخها إلى (٣٢٠٠ – ٢٧٢٠ ق.م) من قبل المسيودي سازارك ، كما وجدت في مدن أخرى مثل « أور » و « نيبور » « نفر » و « أوروك » ، ووجدت في بلاد الشام وسميت بألواح ايبلا عند غزو جيش (نارام–سين) ملك آكاد لمدينة ايبلا وتنفيذ أوامره بحرق القصر الملكي .

تقوت هذه الألواح نتيجة لشيها بالنار وبقيت أطول فترة من غيرها من الألواح التي تركت عرضة للشمس وكان ذلك عام ٢٢٥٠ ق.م .

حفظت هذه الألواح في أماكن خاصة بالمعابد والأديرة وصنفت واعطيت رقم متسلسل . كانت كذلك تحتوي على موضوعات متعددة مثل سجلات أنساب الملوك

والحكام ، والسجلات الإدارية للفترة الآشورية والبابلية وموضوعات أخرى مثل الوصفات الطبية والتنجيم والفلك والأساطير والطقوس ، بالإضافة إلى الموضوعات الأدبية والقانونية والتاريخية مع ذكر اسم الناسخ ، وقائمة بالمحتويات لكل غرفة من الأماكن المحفوظة بها .

رتبت ألواح ايبلا حسب الموضوعات الخمسة التالية :

١ - الألواح الأدبية .

٢ - الألواح اللغوية .

٣ - الألواح التجارية والاقتصادية .

٤ - الألواح الرسمية والإدارية .

٥ - الألواح الدينية .

حفظت فوق ألواح خشبية ثبتت بشكل أفقي بعد نصبها على حوامل أو توابت خشبية قوية بشكل عمودي في أرض الغرفة .

أما أهم المواقع الأثرية لهذه الألواح فهي : تل مرديخ - ايبلا - ومملكة ماري (تل الحريري) لما كانت تحتويه من موضوعات ومصادر التراث السوري من النصوص التاريخية والأدبية المهمة التي يعود تاريخها إلى الألف الثاني ق.م .

٢) - أوراق البردي Papyrus :

كانت هذه المادة التي عرفها المصريون القدماء من أهم مواد الكتابة المعروفة في تلك الفترة ، وذلك لسهولة التدوين عليها ، وكان الاغريقيون أول من سمي نبات قصب البردي في عصر الامبراطور الفرعوني المدعو ((Papyrus)) وفي الأصل هو نبات كان ينمو في مستنقعات الدلتا للنيل ، حيث يرتفع ساق هذا النبات المثلث الشكل إلى مترين أو ثلاثة أمتار . ويقطع هذا الساق إلى شرائح مرتبة واحدة جنب الأخرى ، ومن ثم توضع طبقة أخرى من هذه الشرائح بحيث تكون متوازية مع الأولى. ومن ثم يغمر بالماء بعد أن تنزع القشرة الخارجية ويشق اللب الداخلي إلى ألواح سميكة ، ثم يدق بمدقة من الخشب لبعض من الوقت ، وتوضع تحت ثقل كبير

مثل الأحجار الكبيرة والثقيلة لمدة طويلة حتى تلتحم وتلتصق فيما بينها بوساطة الصمغ الذي تحتويه . ثم تصقل بعد ذلك جيداً وتترك بالشمس أما حجمها فكان متوسطاً وبمقياس ٣٥ × ٤٠ سم .

كان ذلك في زمن الأسرة الأولى أو العصر العتيق ٣٢٠٠ - ٢٧٨٠ ق.م كانت مصر في عصر فجر تاريخها ، وتشابه فنها مع فنون الأمم الأخرى ، حتى تميزت بفن ذي طابع خاص وأسلوب خاص .

استعمل قصب البردي على قسمين : الأول مكتوب باللغة اليونانية ، والثاني مكتوب باللغة العربية والذي قام بنشره الدكتور أدولف جروهمان .

كان البردي على شكل لفافة ذات وجهين ، يكتب على وجه يسمى (Recto) الذي صنعت فيه الشرائح أفقياً ، ومن النادر استخدام الوجه الثاني الذي يسمى (Verso) . وتقسم اللفافة إلى أعمدة من سطور قصيرة جداً ، فالكتاب ينقسم إلى صفحات تظهر تدريجياً للقارىء ، كلما مدت اللفافة .

أما الموضوعات التي كتبت هي : الطب ، والأدب ، والتاريخ ، والرياضة ، والفلك . ولذا فإن ورق البردي على أنواع كتب عليه بوساطة أداة سميت القلم وكان يسمى بالاغريقية Calamus إذا كان قد بري بريا مائلاً . مع مسند للكاتب يصنع من الخشب أو الصاج ، ومقياسه متفاوت بين ٨ إلى ١٦ بوصة . كان عبارة عن خشبة مستطيلة في أحد طرفيها حفرة لوضع الحبر وتجويف طويل لوضع الأقلام .

أما أشهر البرديات وأطولها فكانت بردية إيبرز عثر عليها عام ١٨٦٢م من قبل الدكتور Libers يعود تاريخ هذه البردية إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة (القرن ١٦ ق.م) وبالضبط سنة ١٥٣٣ ق.م . أما موضوع هذه البردية القيمة فهو طبي حيث تتناول العلاج لبعض الأمراض والفحص والأمراض النسائية ، واستعمال المبضع وآلات سحب الدم والتدليك ، والأعشاب ، ووظائف الجسم والقلب .

كذلك كانت البرديات التاريخية : وأشهرها بردية تورين (قائمة الملوك) وتعد من أهم المصادر التاريخية لأنها تثبت بأسماء الملوك الذين حكموا مصر منذ بداياتها حتى وقت كتابتها في أيام الأسرة ١٩ . وتذكر الأسماء حسب توليهم العرش والفترة التي حكموا فيها .

النوع الثالث كانت برديات الموتى : حيث جرت العادة في مصر القديمة أن ترفق مع الموتى حاجياتهم ومجوهراتهم والصلوات والأدعية مع نصوص مقدسة لحمايتهم في رحلة الحياة الأخرى وأشهر هذه البرديات هي كتاب الموتى Book of the Dead وهو العنوان الذي اطلق بصفة عامة على كتاب ديني مصري قديم على شكل لفافات من البردي ، مكتوب عليها مجموعة من التعاويذ السحرية أطلق عليها المصريون القدماء اسم « كتاب القدوم في وقت النهار » مكتوبة في أعمدة رأسية بخط هيروغليفي تفصلها خطوط أفقية تقرأ من اليمين إلى اليسار .

النوع الرابع من البرديات : الأدبية : وهي برديات لأعمال أدبية دونت من قبل المصريين وأسماء الأشخاص والموضوعات كانت هي الرسائل والقصص .

النوع الخامس برديات الفلك : كان المصريون لهم معتقداتهم في الحياة حسب الإيمان .

النوع السادس برديات التعليم والمدارس .

النوع السابع برديات الرياضة .

أما أقدم مخطوط كتب على ورق البردي فهو المخطوط العربي الذي يعود تاريخه إلى سنة ٢٢٨ هـ = ٨٨٤ م هي بردية ذات سبع وعشرين صفحة . ويعد أول شكل أشكال الكتاب المعروف اليوم وهو ذو الصفحتين المتقابلتين .

وأخيراً لم يكن ورق البردي مقتصراً من حيث الاستعمال على مصر وحدها بل كان يصدر إلى بلاد البحر الأبيض المتوسط ، وبقي مستعملاً كمادة للكتابة أكثر من سبعمائة سنة بعد الميلاد ، حتى توقفت هذه الصناعة في مصر نحو منتصف القرن العاشر الميلادي (القرن الرابع الهجري) . وآخر وثيقة مكتوبة على البردي يعود تاريخها إلى عام ٣٢٣ هـ - ٩٣٥ م .

٣) - الرق (Pergamen) :

اكتشف هذا النوع من جلود الحيوانات بأنواعها المتعددة في مرحلة متقدمة بمنطقة تسمى (Pergamen) في آسيا الصغرى . وسمي بهذا الاسم نسبة إلى المنطقة التي اكتشف فيها . كان أرق الأنواع هو جلد الماعز وبصورة خاصة كان من جلد

الغزال . أما إعداده فكان يمرّ بمراحل عديدة أولها : ينقع بالماء المغلي عدة مرات ، ويغسل ثم ينشر في الهواء الطلق على الألواح ليجف ، بعد ذلك يجري دعكه بالحجر الخفان حتى يصير ناعماً . ثم يحك بالطباشير فيصبح أبيض ، وأخيراً يكتب عليه .

استعمل الرق لمدة ثلاثة قرون وذلك منذ القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر لتسجيل الصكوك القضائية والأعمال الصناعية حتى نهاية القرن الرابع عشر كانت نهايته وفي مدينة باريس ، لغلاء سعره الذي كان يلزم من ١٠ - ١٢ قطعة جلد لصناعة مجلد يتألف من (١٥٠) ورقة بقياس ٢٤ × ١٦ سم . كان يحتاج إلى مئات من الجلود من أجل كتاب صغير ، أما إذا كان كبيراً فإنه يتطلب الآلاف من الجلود وذلك حتى القرن الخامس عشر .

مميزات الرق بالنسبة للكتابة هو إمكان الكتابة عليه مرتين وثلاث مرات ، وذلك بمحو ما سبق من أخطاء على وجهي المادة . كذلك امتاز بالقوة وسهولة تناوله، وترتيبهُ على الرفوف . وكان شكله في آخر الفترة مايسمى بالكراس أو (Codex)، لذلك كان على أنواع ثلاثة وهي :

١ - الكتب الأولى المصنوعة من الرق (اللفافات) وكان من السهل طي جلد الرق .

٢ - الكتب المصنوعة من الرق على شكل كراس .

٣ - تطوير الكراس Codex في نهاية القرن الثاني الميلادي .

حيث كانت تستخدم في صناعة كتب صغيرة ورخيصة لإمكان الكتابة على الوجهين . وأخذت شكل الكتاب المألوف على مدى ألف عام ، حتى القرن الخامس شر الذي شهد عملية التحول من الرق إلى الورق ومن الكتاب المخطوط إلى الكتاب المطبوع .

مواد الكتابة الأخرى :

١ - العسب (جريد النخيل) : وهي السعفة التي كتب عليها في العصور القديمة .

٢ - الرقوق : وهي الحجارة البيضاء كتب عليها قبل اكتشاف مواد الكتابة الأساسية .

٣ – العظام : وبخاصة العظام العريضة مثل عظام الكتف والأضلاع .

٤ – المهراق : مفردها مهرق وهو قماش من حرير أو قطن ثم يثقل ويكتب عليه .

٥ – القرطاس : وهي نوع يعتقد أنه نوع من أنواع البردي أو أي مادة أخرى.

هذه المواد التي كتبت عليها الموضوعات المتنوعة والأحداث التي مرَّ بها الإنسان القديم وتسجيل الأفكار والأمور الحياتية من تجارية وأدبية وقانونية وأساطير ... وغيرها بالإضافة إلى المواد الأساسية التي ذكرت في أول الفصل وهي الألواح الطينية وورق البردي والرق وجدت بطبيعة الحال أدوات كتب بها مثل :

١ – الآلة أو الأداة الحادة التي كتب بها على الألواح الطينية وكانت تتميز بالرأس المدبب مثل المسمار وعندما يضغط على الطين كان يظهر زوايا حادة كالزوايا.

٢ – القلم : أو Calamus كما سمي باللغة اللاتينية ، كتب به على أوراق البردي عند اكتشافه من قبل اليونانيين كان يصنع من القصب ومدبب الرأس يكتب به بعد غمسه بالحبر كذلك على الرق .

٣ – الحبر أو المداد : ويصنع بطرائق عديدة أشهرها من السخام الخاص بالمصابيح والصمغ والزاج .

٤ – الدواة أو المحبرة : وهي وعاء خشبي أو معدني صغير يرفق مع الطاولة التي كان يكتب عليها وتملأ بالحبر أو المداد ومن ثم يغمس به القلم أو الأداة التي كان يكتب بها .

أمثلة عن المكتبات القديمة

١ – المكتبات في سورية :

وجدت مجموعات من الألواح الطينية في مناطق مختلفة ، عكست حضارة المجتمعات في الأزمنة السابقة وإنتاجاتها المتنوعة .

آ – مكتبة القصر الملكي في أوغاريت :

في عام١٩٢٩ عثرت بعثة فرنسيةفي موقع رأس شمرا (شمال مدينة اللاذقية) على المدرسة الملحقة بالمعبد الديني التي يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر ق.م ، احتوت هذه المجموعات على نصوص كتب بالخط المسماري وبالأحرف الأبجدية الفينيقية ، وجمعت مختلف العلوم الطبيعية والجغرافيا والتجارية، عكست فيها الأسلوب المعيشي والحياة التي كانت سائدة في تلك الفترة . وجدت بأكوام متراكمة سجلت عليها كذلك الأساطير الدينية والنصوص التاريخية بالإضافة إلى الأدب الكنعاني . وأهم ما اكتشف فيها الكتابة الأبجدية من قبل الكنعانيين نحو القرن الخامس عشر ق.م . بالإضافة إلى المعاجم اللغوية والوثائق التي كانت مملأ غرف القصر الملكي وبصورة خاصة المراسائل والعقود المبرمة التي وجدت في المكتبة الملحقة بالقصر وتعود إلى المدرسة الدينية الملحقة بالمعبد .

ب – مكتبة القصر الملكي في ماري :

يعتبر هذا القصر أهم مركز للحضارة القديمة عام ١٩٣٥ ، عندما اكتشف موقع ماري ، من خلال تمثال وجد في هذه المنطقة من قبل لجنة التنقيب للآثار في شمال شرقي سورية في موقع يسمى تل الحريري قرب دير الزور . كان هذا القصر يتسم بالفن والجمال المعماري ، يحتوي على ثلاثمئة قاعة مليئة بالتماثيل وغرف جدرانها مرسوم ومزخرفة بالألوان . وأهم ما فيه مدرستان لتعليم القراءة والكتابة المسمارية ، ومن ضمن هذه المكتشفات الأثرية وجدت مجوعة ضخمة من الألواح الطينية المخففة بالشمس بلغ مجموعها ٢٠،٠٠٠ لوح كتب بالخط المسماري يعود تاريخها إلى الألف الثاني ق.م تضمنت على مواضيع عديدة من سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية .

عدّ هذا القصر من أهم المراكز للوثائق التاريخية والأرشيف الحكومي . عكست فترة من الحضارة لبلاد الشام وتاريخ الشرق القديم .

جـ – مكتبة القصر الملكي في ايبلا :

تقع مدينة ايبلا في منطقة تل مرديخ ، جنوب مدينة حلب شمال سورية . اكتشفت مؤخراً من قبل لجنة ايطالية للتنقيب في الآثار عام ١٩٧٥ ، يعود تاريخ هذه المملكة إلى الألف الثالث ق.م أي نحو القرن الثلاثين ق.م ، حيث اكتشفت المكتبة والأرشيف في عاصمة مملكة ايبلا.وهي عبارة عن غرفتين مجهزتين برفوف خشبية

رتبت عليها نحو ٢٠,٠٠٠ ألف لوحة طينية حسب تصنيف معين بالنسبة للمواضيع . كتبت بالخط المسماري ، عاصرت هذه المكتبة ملوك أكاد في بلاد ما بين النهرين . احتوت هذه الرقم نصوصاً معجمية وأدبية وتشريعية وقضائية والمراسيم الإدارية والتنظيميةوالأوامرالعسكرية. اعتبرت من قبل البعثةمهمةلأنها احتوت علىوثائق تضيف معلومات وتاريخ سورية والشرق الأوسط يعود إلى النصف الثاني للقرن الثالث ق.م .

كان تنظيم هذه المكتبة على أعمدة خشبية وضعت بشكل أفقي ثبتت على أعمدة عمودية ممتدة إلى السقف . بعدها رتبت الألواح التي كانت على أشكال مختلفة منها المستطيلة والدائرية والمربعة .

المكتبات في بلاد ما بين النهرين

(العراق)

توصل العلماء وبعد اكتشاف الكتابة وتطور أشكالها ، وأنواعها والمواد التي كتبت بها والمواد التي كتب عليها إلى أن الإنسان مرَّ في خطوات مهمة في تسجيل أسلوب حياته وأهم الأحداث التي مرَّ بها ، وتدوين المعرفة والمواضيع المتنوعة مثل : الأساطير ، والفلك ، والقوانين ، والشعر ، والقصص ... إلخ .

اتخذت هذه المواد التي حفظت بأماكن ملحقة بالمعابد والأديرة ، سميت بالخزانات (وليس المكتبة كما تسمى اليوم) . جمعت فيها السجلات الإدارية والوثائق والعقود التجارية والملاحم التي عكست من خلالها التطورات النوعية والكمية للمجتمعات التي عاشت في تلك الفترات القديمة ونمط المعيشة للإنسان .

كشفت الحفريات من قبل البعثات الأجنبية للآثار واللجان الوطنية عن هذه الأماكن ذات الموقع المهم من الناحية التاريخية التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثالث ق.م .

زخرت حضارة وادي الرافدين بالثقافة والمعرفة للعلوم والآداب وقد شهدت بذلك المخزائن التي اكتشفت بالتنقيب فيها من قبل المختصين بالآثار من عدة بلدان مثل انكلترا وفرنسا وايطاليا .

كانت المكتبات في وادي الرافدين عبارة عن دور للسجلات للسومريين والبابليين والآشوريين ، تعددت أنواعها حتى أصبحت خمس مكتبات حسب مواضيعها هي :

آ - مجموعة الألواح الخاصة بأسماء الملوك والأنساب .

ب - مجموعة الألواح الدينية .

جـ - وثائق وسجلات للعقود التجارية .

د - الألواح الدينية .

هـ - المكتبة الخاصة بتدريس النساخ والكهنة وسميت بالمكتبة المدرسية .

أول ما عثر عليه من هذه المجموعات مكتبة كيش التي وجدت في معبد كيش ، هذه المدينة العريقة (كما ذكر في خزائن الكتب القديمة للمؤرخ كوركيس عواد) ، عثر على مجموعات أدبية من الرقم الطينية في أحد تلول مدينة كيش من قبل المنقب الشهير لنكدن عام ١٩٢٤ . ومن خلال التنقيب عثر أحد العمال على وثيقة تجارية يعود أصلها إلى عهد نبوخذنصر . والخزانة الأساسية ، تقع تحت مبان كبيرة وقديمة منذ العصور البابلية ، وهي تعود إلى عصر إيسن (ISIN) وحمورابي . كانت الألواح التي وجدت تعكس المواضيع الخاصة باللغة وعلوم النحو ، والنصوص المدرسية ، وجداول العلامات الكتابية . رتبت في أوان فخارية وفق ترتيب خاص بالمواضيع .

خزانة الوركاء :

تعد هذه الخزانة التي عثر عليها في مدينة الوركاء أقدم الأماكن الأثرية ، اكتشفت فيها الكتابة المسمارية قبل أربعة آلاف سنة ، وهي من المدن السومرية الضاربة في القدم إذ يرجع تاريخ تأسيسها إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، كانت من أجمل المدن التي اشتهرت في العهد القديم والتي كانت مكرسة للإلهين « آنو » و « أنانا » حيث يقع في وسطها معبد « أي-أنا » أي بيت السماء . القسم الأول خاص بالمعابد للآلهة أنانا السومرية المعروفة باسم عشتار ، والقسم الثاني سمي كلابا .

وجدت الألواح الطينية في الوركاء وهي من أقدم الألواح التي كتب عليها بالخط المسماري (الكتابة المسمارية) كانت تتألف من ٢٥٠٠ مقطع أو كلمة .

بدأت الكتابة على هيئة صور للأشياء المراد تدوينها وسميت بالطور الصوري الذي استعمله السومريون للتعبير عن لهجتهم المنطوقة Syllabigue ، احتوت هذه الخزانة على السجلات المليئة بالتعاليم الدينية والأدبية ، ووثائق إدارية وقانونية وتجارية ودينية.

عثر عليها من قبل بعثة ألمانية في سنة ١٩٣٩ والتي يعود تأريخها (إلى من أقدم العهود التاريخية وحتى العهد السلجوقي) .

خزانة نينوى :

تعد خزانة نينوى أقدم خزائن الملوك في العراق وأشملها ، موضوعياً لمدينة نينوى (قبالة مدينة الموصل شرقي دجلة) لها تاريخ حافل وعدت من العواصم المهمة للآشوريين وبخاصة الملك الآشوري « آشور بانيبال » الذي اهتم بجمع المواد ووسعها، الذي دام حكمه ٤٢ اثنتي وأربعين سنة (من سنة ٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م) .

كان يهتم هذا الملك بالعلوم والآداب ، وفك الخطوط والحكايات والأساطير ، وكما سجل في اسطوانة حول أخبار آشور بانيبال جملة هي :

« أنا آشور بانيبال ، فقد اختزنت في قصري حكمة نبو ، واستوعبت ما في الألواح المدونة ، وكل ما في الألواح الطين من خفايا ومشاكل » .

اهتم بنفسه في نقل المعرفة وأشرف على النساخ ، على عكس سابقيه الذين كانوا منصرفين في الغالب إلى شؤون الحرب توسيعاً لملكهم ، أو تشييد القصور والمباني الفخمة ... إلخ .

امتازت الألواح في هذه الخزانة بتنوعها من علم وأدب ودين ، وكانت مواضيع السجلات هي في الرسائل والتاريخ والسحر والنحو والشعر والقانون ، والفلك ، والجغرافيا ، والطب والتاريخ الطبيعي والأساطير والقصص كقصة الخلق ، وقصة الطوفان .

باختصار كانت هذه الخزانة بمثابة دائرة معارف شملت أغلب العلوم بلغت أحجامها مثل ١٥ × ٥/٨ ٨ أو ١ × ٧/٨ إلخ .

رتبت هذه الألواح موضوعياً ، وختمت بختم خاص ، وجدت نحو ٢٥٠،٠٠٠ ألف لوح مع عدد غير كبير من أوراق البردي ، وصنفت تصنيفاً ملكياً عاماً ، ووضعت فوق الرفوف أو في أوعية فخارية .

اعتمدت طريقة الإعارة على التنسيق الحسابي ، الذي يعد أقدم وأعظم نسق في التنظيم المكتبي .

احتوت هذه الخزانة على الموضوعات المهمة وأشهرها الألواح الاثني عشر التي تصور ملحمة كلكامش . بالإضافة إلى المواضيع الأخرى مثل :

١ – دائرة معارف لقواعد اللغة الآشورية والبابلية .

٢ – جدول بأسماء ضباط ايبوتيموس .

٣ – سلسلة تاريخ مملكتي بابل وآشور .

٤ – معاجم جغرافية .

٥ – مجموعة مستندات احصائية .

٦ – قائمة بأسماء العلم التي كانت تستعمل في البلاد .

٧ – مقالة عن الحقوق الخاصة .

كتبت جميع هذه المواضيع أو المواد على ألواح بشكل كتاب كل واحد يحتوي على عدة ألواح وبتسلسل وترقيم أو كتابة الكلمة الأخيرة في أول اللوح التالي لربط الموضوع .... وهكذا .

خزانة نيبور Nippur :

كانت هذه المدينة تقع بنحو مائة ميل جنوب مدينة بابل ، على ضفاف نهر الفرات قرب بابل . اكتشفها مجموعة من العلماء الأمريكيين في سنة ١٨٩٨ ، حيث يرجع الفضل للعالم هينس الذي اكتشف خزانة نفر التي ضمت كل ما كان يدرس في مدارس ذلك العصر من المواضيع المتنوعة . وأهم ما اكتشف فيها الألواح الرياضية وألواح علم الفلك والطب والتاريخ واللغة ، يعود تاريخ هذه الخزانة إلى الفترة (٢٧٠٠ – ٢١٠٠ ق.م) ، كانت عبارة عن جزء من المعبد الرئيسي أهم ما وجد فيها لوحان مهمان هما أشبه بفهرس قديم (قائمة الكتب) كتب على أحدهما اثنان وستون عملاً أدبياً . أما الآخر فموجود في متحف اللوفر والذي يتضمن ثمانية وستين عنواناً . كان الموضوع الرئيس لثلاثة وأربعين عنواناً متشابهاً في موضوع الحكمة

ومواضيع مهمة أخرى مثل التعليم وأهم هذه الألواح الجداول التاريخية التي تذكر أسماء الملوك وما جرى من حوادث مهمة في السنة مثل البيع والشراء ، جداول الضرب والحساب ، وجداول الألفاظ المترادفة في اللغة ، والأسماء الجغرافية للجبال والبلدان وأسماء الأحجار والنباتات ، والمواد التي تصنع من الخشب .

نظمت هذه الألواح المصنوعة من الطين غير المطبوخ فوق الرفوف الخشبية أو الطينية التي كانت تبنى بناءً بدائياً بالآجر إلى علو نحو من عشرين انجاً من الأرض وعرض الرفوف كان يبلغ نحو قدم ونصف القدم .

هذه أشهر أنواع دور السجلات والمكتبات في العراق قديماً ، وهي من بين عشرات الخزانات المليئة بالألواح المسمارية المليئة بالمواضيع في المجالات المهمة كافة التي حفظت كذلك المعرفة البشرية من علوم وثروة لغوية ومعاجم بأسماء النباتات والحيوان والطيور مثل خزانة تل حرمل التي تبعد ستة أميال من شرقي بغداد . يمكن ذكر بعض من هذه الخزانات القديمة وهي :

١ – خزانة آشور .
٢ – خزانة نوزي .
٣ – خزانة الجمجمة .
٤ – خزانة سبار .
٥ – خزانة مدينة أدب .
٦ – خزانة دريهم .
٧ – خزانة تلمو .
٨ – خزانة المدائن .

المكتبات في وادي النيل

(مصر)

يعود تاريخ المكتبات القديمة في مصر إلى الألف الثالث ق.م ، كان معظم موادها لفائف البردي القيمة والأثرية عكست حضارة وادي النيل من صور ورسوم أو نقوش في نصوص قديمة بين القصور والمعابد أو القبور من خلال مواضيع عديدة وأهمها المعاهدات والقوانين والأنظمة الخاصة بالأسر الحاكمة والملوك والطقوس الدينية والحوادث التاريخية والاجتماعية والطب ولعبت دوراً كبيراً البعثة الأثرية التي رافقت نابليوم بونابرت أثناء غزوه لمصر في نهاية القرن الثامن عشر . عثر على برديات كتب عليها بالهيروغليفية القديمة ومواد المكتبات القديمة التي كانت موجود منذ زمن الملك خوفو (٢٧٢٣-٢٧٠٩)ق.م ، ومن أهم ملوك الأسرة الرابعة ، ابنهُ خفرع الذي خلفه في الحكم ، وازدهرت المكتبات أيضاً في عصر الملك رمسيس الثاني (١٣٠٠-١٢٣٥) ق.م .

كانت هذه المكتبات التي تعكس موادها جوانب الحياة الثقافية والتاريخية ، ملحقة بالقصور الخاصة بالملوك والمعابد .

مكتبة معهد طيبة :

كانت من أشهر وأهم المكتبات مكتبة الفرعون خوفو والفرعون خفرع في الألف الثالث ق.م يعود تأريخها إلى الاسرة الثالثة (٢٨٠٠ق.م) عدّت مكتبة معهد طيبة الخاصة للفرعون رمسيس الثاني يعود تاريخها إلى القرن الثالث عشر ق.م ، سميت حينذاك (مخزن طب العقول) ، مهمة لسألتين أولاها بأنها كانت تقع في مركز الدولة المصرية الوسطى ، والثانية أنها جمعت اللفائف المهمة للمواضيع الاجتماعية والفكرية خاصة بالملوك ورجال الدين،وأشرف عليها أمين مكتبة سمي (مي آمون) وهو شخصية مهمة في القصر الملكي والمعبد الديني .

رتبت هذه اللفائف البردية مطوية ومحفوظة في جرارات معنونة ومصنفة على الرفوف ، عثر في إحدى هذه البرديات على قصة وصور للسندباد البحري ، بالإضافة إلى عدد كبير من القصص القصيرة والأساطير كتبت على درجة كبيرة من التشويق ومزج الخيال بالواقع .

دمرت هذه المكتبة في القرن الرابع ق.م عند دخول الفرس إلى مصر .

مكتبة الاسكندرية

كانت ولاتزال مكتبة الاسكندرية تعد من أهم المكتبات القديمة ، من عدة جوانب امتازت بها منذ بداية انشائها وحتى عصرنا الراهن ، أنشأها بطليموس سوتر (Ptolemy Soter) في عهد أول ملوك أسرة خلفاء اسكندر وسمي بطليموس الأول الذي توفي عام ٢٨٣ ق.م .

جمعت هـذه المكتبـة مـا جُلب مـن اليونـان انتاجـات فلسـفية وأدبيـة وأسـاطير بالإضافة إلى مواضيع أخرى مثل العلوم والآداب .

أكمل بطليموس الثاني ما بدأهُ والدهُ في نقل التراث اليونـاني والحضـارة العريقـة إلى بلاد مصر . وعمل على تشجيع العلم والعلماء للفترة من حياته (٢٨٥-٢٤٦ق.م) حيث استدعى أكبر الأدباء والعلماء والكتاب، من خارج مصر ، وتسلم ما لديهـم مـن كتب إضافية لتزويد المكتبة وبذخ في الأموال من أجل زيادة محتوياتها حتى بلغ المجموع ٤٩٠,٠٠٠ لفافة بردية .

أصبحت المكتبة مركزاً للتعليـم الهلينستي حتى مجيء بطليمـوس الثـالث ق.م . بالإضافة إلى ذلك أصبحت مركزاً للنشاط الفكري وأكاديمية للبحـث العلمـي وملتقى الفلاسفة والعلماء والأدباء . بحيث أصبحت في المستوى نفسه لمكتبة نينـوى في العـراق رغم الفترة الزمنية التي كانت تفصل بينهما وهي أربعة قرون . وتميزتا في عدة جوانـب أولها أنهما كانتا ذو طابع عـالمي مـن ناحيـة جمـع المصـادر ونقـل الثقافـات والترجمـة . ووجودهما في الفترة الملكية ، وإدارتها من قبل مشـرفين عليهـا ، والنظـام الـذي كـان يرتب بها المواد والمكتبة . ولكن توجد ميزة واحدة تختلفان فيها عن الأخرى وهـي أن مكتبة الاسكندرية أكثر محتوياتها كانت من لفائف البردي ، أما مكتبة نينـوى فكـانت أكثر محتوياتها من الألواح الطينية .

محتوياتها :

كـانت تحتوي علـى جـاميع مـن لفـائف البـردي الـتي كـانت مكتوبـة باللغـة الهيروغليفية ، حتى وصل مجموعها إلى ٤٩٠,٠٠٠ لفافة بردية . كانت هذه المحتويـات عبارة عن مجموعتين الأولى وهي اللفافات البردية المفردة التي تضمنت مؤلفـاً واحـداً أو موضوعاً واحد وعددهـا ٩٠,٠٠٠ ألفـاً نفسها التي حفظـت في القسـم الثـاني بينمـا المجموعة الثانية وهـي النصـوص الطويلـة والملاحـم والمؤلفـات والمترجمـات حفظـت في القسم الرئيس من قصر الملك .

مكانها :

كانت مقسمة على مجموعتين رئيستين وهما :

القسم الرئيس وهـو المكـان الأكـبر حيـث كـان ملحقـاً بقصـر الملـك في حـي البروكيوم في مدينة الاسكندرية التي احتـوت على أهـم وأحسـن المؤلفـات ، والقسـم الثاني أو الأصغر وهي التي أنشأها بطليموس الثاني حفظت في معبد سُمي (Scrapis).

إدارتها :

أشرف على إدارة هذه المكتبة أدباء وشعراء وشخصيات اجتماعية وثقافية مرموقة أولهم النحوي العظيم زينودتس لافيسوس Zenondelus of Ephosu ، قام بترتيب الكتب ونشر الأدب اليوناني في مؤلفه المشهور عن هوميروس (Homerus) ، وأسهم العالم أريستوفاني البيزنطي Aristophanes of pyzontium في مجال علم المعاجم ، وايولونيس الروديسي ، وأخيراً أشرف عليها الشاعر والعالم اليوناني الأصل كاليماخوس Callimachus الذي فهرس وصنف المجموعات المكتبية البالغة (٥٠٠,٠٠٠) ألف لفافة بردية أي في مجال الفهارس .

سميت هذه الفهارس (Pinakes) استطاع أن يفهرس $\frac{1}{5}$ محتويات هذه المكتبة في (١٢٠) مجلداً . كانت اللفافات البردية عبارة عن مؤلفات متعددة المواضيع أو مفردة الموضوع . ونسخ قديمة من المحفوظات ، وعدد كبير ترجم من اللغات الأخرى . بالإضافة إلى استنساخ الكثير من مؤلفات الأدباء المتميزة كان من بين المحتويات لمكتبة الاسكندرية ، منها مواد مكتبة ارسطو الخاصة ، كان قد أوصى بها إلى أحد تلاميذه ، ثم تشتت فيما بعد ويقال إن القائد الروماني سولا (Solla) قد نقل محتوياتها إلى روما معهُ .

فهرستها :

رتبت بعض المواد زمنياً ، والآخر رتب أبجدياً حسب الموضوعات أو حسب المؤلفين مع نبذة عن حياتهم أي (ترجمة مختصرة عنهُ) ثم اتبعها (والمقصود هنا كاليماخوس) بثبت مؤلفاتهم، وصنف كل باب بذكر عنوانهُ وعدد سطوره . ثم رتب أسماء المؤلفين داخل كل مجموعة بترتيب هجائي . وأضاف البيان الوصفي مع استخدام ضبط مقياس أحجام المحفوظات . مع تقرير مكافاة الناسخ . والترميز على المخطوط كي يسهل العودة إليها . لذا تعد هذه الفهارس الأساس للأعمال البيليوغرافية في العصور القديمة .

كان المدخل الرئيسي للكتاب هو العنوان في المؤلفات الشرقية ، والموضوع في حالة استحالة اسم المؤلف .

كان نظام التصنيف في علوم المعرفة عند كاليماخوس حسب الطريقة التالية :

أ – الملاحم وغيرها من الشعر .
ب – الدراما .
جـ – القوانين .
د – الفلسفة .
هـ – التاريخ .
و – علوم الخطابة .
ز – الطب .
ح – العلوم الرياضية .
ط – العلوم الطبيعية .
ي – متنوعات .

نهايتها :

تعددت المصادر في ذكرها الطريقة التي انتهت إليها هذه المكتبة ، بعضها ذكر أن العرب قد أحرقوها وهذا غير ممكن أو غير مؤكد ، لأنَّ المؤرخ اودوسيوس كتب « أنهُ في عام (٤١٦م) لم تكن هذه المكتبة موجودة عند فتح مصر من قبل المسلمين بقيادة عمر بن العاص عام (٤٦٢م) والمصادر الأخرى تذكر أن نهايتها كانت على أيدي جنود يوليوس قيصر عندما غزا مصر ، وثار المصريون دفاعاً عن الوطن وحماية سواحلهم عام (٤٨ – ٤٧ ق.م) عندما جاء ملك الرومان للاستيلاء على مصر من مدينة الاسكندرية ، فأحرقوا الأسطول المتكون من ١٢٠ سفينة مصرية كانت تحرس ميناء الاسكندرية (وذلك وفق خطة من أجل الاستيلاء على المدينة) وضعها القائد من أجل عدم استفادة أعدائه من هذه السفن ، وقد اتسع الحريق وامتد إلى البنايات الأبعد من ذلك ، حتى وصل دار صناعة السفن وما جاورها من مبانٍ ، ومن ضمن هذه المباني كانت مكتبة الاسكندرية العظمى .

أما الجزء الباقي من هذا الحريق ، فدمر عام ٣٩١م . وذلك أثناء تدمير المسيحيين الأوائل للمعبد سيرابيس (Serapis) .

Damascus University

مصادر الفصل الأول

١ – تاريخ المكتبات / هيل الفرد : ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة . ـ القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٣ . ـ ص ١٩٥ .

٢ – المكتبات والصناعة المكتبية في العراق / فؤاد قزانجي . ـ بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧٢ . ـ ٨٦ صفحة : جداول ؛ ٢٤ سم .

٣ – مقدمة في تاريخ الحضارات القديم : القسم الأول / طه باقي . ـ بغداد : دار المعلمين العالية .

٤ – من تاريخ المكتبات في البلدان العربية / د. خيال الجواهري . ـ دمشق : وزارة الثقافة ١٩٩٢ ـ ٤١٤ ص ؛ ٢٤ سم .

٥ – الموسوعة المصرية ـ تاريخ مصر القديم وآثارها / وزارة الثقافة . ـ القاهرة : الوزارة ، ١٩٧٨ ـ جزء ٢ (ص ٦٥٦) : رسوم ؛ ٢٨ سم .

الفصل الثاني

الكتب والمكتبات في الحضارات القديمة

أولاً – الصين :

كما قامت الحضارات الشرق أوسطية في أحضان الأنهار الضخمة – دجلة والفرات والنيل ، كذلك فإن الحضارات الشرق أقصوية قامت بدورها ، في وديان الأنهار العملاقة : يانسة–كيانغ وهوانغ–فو ، حيث حظيت الكتابة والكتاب باهتمام كبير .

ويرجح أن يكون الصينيون قد بدأوا الكتابة منذ الألف الثالثة ق.م . أي بعد السومريين مباشرة ، مستخدمين نظام العقد أولاً ، ومن ثم انتقلوا إلى الكتابة التصويرية، التي تطورت إلى النظام الكتابي الايدوغرافي ، الذي لايزال سائداً في الصين حتى يومنا هذا .

من المعروف أن الصينيين هم الذين اخترعوا الورق ، لكن وصولهم إلى هذا الاختراع استغرق عشرات القرون ، فقد استخدموا للكتابة أعواد القصب ، وألواح الخشب والأحجار والأواني النحاسية والعظام .

ومن ثم بدأوا استخدام مادة الحرير ، وكانت الكتب المصنوعة من المواد آنفة الذكر ، باستثناء الحرير ، ثقيلة الوزن ، أما الحرير فكان باهظ الثمن ، بالمقارنة مع المواد الأخرى ، وبالتالي فقد كانت الحاجة ماسة للعثور على مادة بديلة تكون أخف وزناً وأقل سعراً ، فكان أن اكتشفوا طريقة إنتاج الورق وذلك في مطلع القرن الثاني الميلادي باستخدام لحاء الأشجار والحبال القديمة والخرق وشباك الصيد ، ومن الصين بدأ الورق ينتشر إلى المناطق المجاورة فوصل إلى كوريا واليابان في مطلع القرن السابع ، ومن ثم وصل إلى العرب عن طريق سمرقند ، إبان الفتوحات العربية الإسلامية لبلدان آسيا الصغرى .

ولما كانت الكتابة الصينية بالغة التعقيد ، فقد كان نسخ الكتب صعباً للغاية ومحفوفاً بارتكاب الكثير من الأخطاء ، ولتلافي ذلك كله ابتكر الصينيون طريقة جديدة

للنسخ ، تعد مقدمة لاختراع الطباعة لاحقاً . حيث كانت النصوص الدينية تنقش على قوالب خشبية ، ثم تترك في الأماكن العامة ، ليتمكن جميع الراغبين من أخذ النسخة المطلوبة .

أما أدوات الكتابة عند الصينيين فكانت في البداية تقتصر على الأقلام المصنوعة من عيدان القصب للكتابة على المادة اللينة ، وفي نهاية القرن الثالث ق.م ، اكتشفت الفرشاة المصنوعة من وبر الجمال للكتابة على الحرير ومن ثم على الورق .

وما سيحدث في أوربا العصور الوسطى من ملاحقة للكتب والكتاب ، حدث في الصين في عصورها الكلاسيكية ، فمع تطور الأدب والعلوم ، وظهور وانتشار الأفكار والآراء الدينية والسياسية ، المخالفة لتلك السائدة ، بدأت عملية ملاحقة الكتب تتخذ طابعاً بالغ القسوة والصرامة في الصين . ففي نهاية القرن الثالث ق.م أوعز الامبراطور بحرق كل مؤلفات كونفوشيوس ، باستثناء ما يتعلق منها بالطب والصيدلة والزراعة ، كما أوعز بحرق مئات الكتّاب الذين تجرؤوا على الكتابة ضده ، ولحسن الحظ أن الامبراطور أمر بترك نسخة واحدة من كل كتاب لإيداعه في مكتبته الامبراطورية . لكن محتويات هذه المكتبة دمرت أثناء الحريق الذي التهم القصر الامبراطوري في عام ٢٠٦ ق.م .

ومع سقوط أسرة شين عام ٢٠٧ ق.م ، وقدوم أسرة هان دبت الحياة من جديد في عملية نسخ الكتب ، ونشرها ، ومع توطد الديانة البوذية شهد إنتاج الكتاب نقرة مهمة وبخاصة في عهد أسرة تانغ .

ثانياً – الهند :

يعود ظهور الكتابة في شبه القارة الهندية إلى الألف الثالثة ق.م . وكانت في بدايتها تتألف من ٢٥٠ إشارة ، تكتب بها النصوص على الحجر والخزف وألواح النحاس ، ومن أهم الآثار الكتابية الهندية القديمة ، التي وصلتنا ، مراسيم الملك آشوي، المنقوشة على الحجر .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الطريقة الرئيسة لانتقال النصوص الدينية والأدبية والعلمية من جيل إلى آخر كانت المشافهة . فعن طريق المشافهة انتقلت الملاحم

البطولية الكبرى المهابهارتا وراميانا والفيدات ومن ثم المؤلفات التاريخية والكتب المقدسة .

وهذا فلم يصل إلينا من الكتب الهندية القديمة إلا القليل ، هذا بالإضافة إلى أن الهنود كانوا يستخدمون لحاء أشجار النخيل ، والقشرة الرقيقة لأشجار البتولا ، وكلتاهما لا تصمدان في وجه الزمن .

وأما بالنسبة للمكتبات الهندية القديمة فلا نعرف عنها إلا القليل ، وتكاد تكون قصراً على المعابد وقصور الحكام ، وحتى هذه كانت مجرد مكتبات متواضعة ، إن من حيث عدد كتبها أو من حيث موضوعات هذه الكتب ، وبالتالي فإن تأثير هذه المكتبات على تطور المعرفة والأدب ، وعلى المجتمع ككُل ، كان محدوداً جداً .

ثالثاً – في الحضارة الفارسية :

ساهمت الحضارة الفارسية القديمة – بدورها – في رفد الحضارة البشرية بالكثير من المنجزات الهامة في ميدان الكتب والمكتبات . وقد تجلى الاهتمام بالكتب والمكتبات في الحضارة الفارسية منذ القرن الثالث الميلادي ، حيث أولى ملوك الفرس اهتماماً كبيراً للعلوم والثقافة وشجعوا المفكرين والفلاسفة اليونان على القدوم إلى بلادهم حاملين إنتاجهم العلمي الغزير ومخطوطاتهم الهامة في شتى ميادين المعرفة .

وانتشرت في بلاد فارس المكتبات العامة والخاصة في القصور والمعابد ولدى بعض العلماء والمفكرين ، كما تأسست المكتبة الملكية الفارسية في طهران ، وقد تميزت هذه المكتبات بتأثيرها الكبير على التراث الفكري للشعوب الشرقية المجاورة في بلاد الرافدين والشرقين الأوسط والأقصى ، كما اشتهرت بالتنظيم الدقيق لمحتوياتها من كتب ومخطوطات ، حيث بلغت أوج ازدهارها في بداية القرون الوسطى ، بعد ازدياد احتكاكها بالحضارة العربية الإسلامية وتأثرها وتأثيرها بها .

الكتب والمكتبات عند الاغريق والرومان

توطئة :

لعبت الثقافتان المينوياسية (في جزيرة كريت) والميسينية (في اليونان) دوراً كبيراً في إرساء الأسس الأولى للحضارة الأوربية في ميدان الثقافة والفن والأدب ، فقد

كانتا في الطليعة من حيث استخدام الكتابة في أوربا . وذلك منذ بداية الألف الثانية ق.م . فقد اكتشف في ميسينيا وبيلوس آلاف الرقم الطينية بهذا النوع من الكتابة ، والغريب أنها كلها تعود إلى سنة واحدة ، مما جعل العلماء يرجحون أن التسجيل كان يتم سنوياً ، وكانت سجلات السنة السابقة تتلف ، لأنها تفقد أهميتها . وهكذا فإننا لا نجد في الحضارة الكريتية – الميسينيةمراكز لحفظ الوثائق كما في حضارات الشرقين الأوسط والأقصى .

وبالتالي فإن الكتابة في كريت وميسينيا كانت قصراً على تلبية حاجات السلطة الحاكمة ، على عكس ما كان الأمر عليه في مصر أو بلاد الرافدين ، حيث كانت الكتابة تستخدم للأغراض العملية بالدرجة الأولى .

ولما كانت هذه الكتابة تمارس للأغراض البيروقراطية الإدارية فقط ، فإنها لم تعمر طويلاً ، وقد انقرضت في القرن الثاني عشر ق.م أي مع نهاية الحضارة الكريتية – الميسينية .

ولم يستطع العلماء فك رموزها إلا في منتصف القرن العشرين ، على يد المهندس المعماري ميشيل فنتريشي .

الكتابة اليونانية :

لم يرث اليونانيون حروفهم الجديدة عن أسلافهم الكريتيين – الميسينيين . بل أخذوها عن الفينيقيين . إما في القرن العاشر أو التاسع ق.م . وذلك على يد قدموس الفينيقي ، كما يؤكد هيرودوت في « تاريخه » .

وفي المدن اليونانية شهد إنتاج الكتاب تطوراً ملحوظاً ، واتسعت شبكة المكتبات، على غرار تلك التي ظهرت في الشرق . غير أن إنتاج الكتب في هذه المرحلة بقي محدوداً ، وظل انتشاره ضيقاً ، لأن الغرض منه لم يكن البيع ، بل الإهداء إلى الأصدقاء والقراء المهتمين .

وفي القرنين السابع – السادس ق.م كانت توجد مكتبة رسمية أو مركز للوثائق في ميليت ، تضم الكتب باللغة اليونانية أو اللغات الأخرى ، وكان يؤمها كبار العلماء والفلاسفة ، وقد دمرت هذه المكتبة في بداية القرن الخامس ق.م عندما اجتاح الفرس المدينة .

وتدل المعطيات المختلفة على أن المكتبات اليونانية في هذه الحقبة كانت في غاية التنظيم ، وعلى التشابه الكبير بين علم المكتبات اليوناني ونظيره الآشوري - البابلي من حيث طريقة كتابة العناوين وتحديد مصدر المحفوظة وتنظيم الفهارس وتصنيف المواد حسب الفروع العلمية .

ولا شك أن اليونانيين الإيونيين في آسيا الصغرى هم الذين نقلوا إنجازات علم المكتبات الآشوري - البابلي إلى العالم اليوناني ، بفضل احتكاكهم بحضارات الشرق الأوسط .

فبعد تدمير مدينة ميليت وغيرها من المدن الإيونية الأخرى ، بدأ نجم أثينا بالصعود ، ولم تلبث أن تحولت إلى حاضرة سياسية واقتصادية مهمة للعالم الهلنستي ، حيث أصبحت قبلة الأدباء والفنانين والفلاسفة ، وتحولت إلى مركز كبير لإنتاج الكتاب ، وازداد عدد القراء فيها .

وظهر النساخ المحترفون ، وباعة الكتب ، وتأسست المكتبات ، غير أن المشافهة ظلت الغالبة على الكتابة كطريقة للتواصل ، ولم يبدأ العصر الذهبي للكتاب اليوناني إلا في القرن الثالث ق.م أي في العصر الهلنستي .

فمع بداية القرن الثالث ق.م راج عدد الكتب المتداولة يزداد باطراد ، وازداد الاقبال على شرائها من قبل الموسرين والمكتبات العامة ، التي لم تلبث أن تحولت إلى أكبر زبون لشراء الكتب ، وتم الانتقال نهائياً إلى التواصل عن طريق الكتابة ، وذلك نتيجة اتساع رقعة الامبراطورية ، بعد فتوحات الاسكندر المقدوني ، وتعدد المراكز الثقافية اليونانية (رودوس ، برغام ، الاسكندرية ، انطاكية وغيرها) .

الكتابة عند الأتروسكيين :

الأتروسكيون شعب أقام على الساحل الغربي لإيطاليا حضارة من أهم الحضارات في حوض المتوسط ، والتي استمرت من القرن الثامن حتى القرن الثالث ق.م . وقد استخدموا الأبجدية اليونانية في كتاباتهم ، لكن ما وصلنا عن كتبهم قليل جداً ، لأن الرومانيين دمروا حضارتهم .

هذا وتدل المعطيات التاريخية القليلة ، بالإضافة إلى المعطيات الأثرية أن إنتاج الكتاب كان متطوراً نسبياً لدى الأتروسكيين ، وكانت كتبهم في معظمها ذات طابع ديني وسحري ، بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأدبية والتاريخية .

في روما القديمة :

تأثر الرومان إلى حد كبير بالحضارتين اليونانية والأتروسكية ، حتى إنهم مدينون بكتابتهم للمستوطنات اليونانية في جنوب إيطاليا ، وأثناء الحملات العسكرية الرومانية على المدن اليونانية كان القادة العسكريون ينهبون المكتبات اليونانية الغنية .

ومنذ القرن الثالث ق.م بدأ الكتاب اليوناني يحظى بمكانة خاصة في روما ، ثم ظهرت الكتب اللاتينية ، مما أدى إلى توسع وتعمق الثقافة المزدوجة : اليونانية - اللاتينية ، هذه الازدواجية التي تجلت في إنتاج الكتاب وتوزيعه .

وفي البداية لم تكن توجد في روما مكتبة عامة لحفظ الكتب وخدمة القراء ، ولقد راودت هذه الفكرة يوليوس قيصر ، فقرر إقامة مكتبة ضخمة على غرار مكتبة الاسكندرية ، لكنه لم يتمكن من تنفيذ هذا المشروع ، وقد قام صديقه أذنيه بوليون بذلك ، فأسس أول مكتبة عامة في روما في النصف الثاني من القرن الأول ق.م . وفي هذه المرحلة بدأ الكتاب يتحول إلى مظهر من مظاهر الزينة والتقليد في قصور الأغنياء . وتطور إنتاج الكتاب ، كما اتسعت شبكة توزيعه .

ومع نهاية العصر الجمهوري وبداية العصر الامبراطوري يبدأ « العصر الذهبي » للثقافة الرومانية في عهد الامبراطور الأول أوغسطس ، ففي عهده طرأ تطور كبير على الإنتاج الأدبي والعلمي ، وازداد الاهتمام بمؤلفات الشعراء الكبار أمثال فرجيل وهوراس وأوفيد ، مما شجع الناشرين على طرح كميات أكبر من الكتب في الأسواق. وقد قام الامبراطور أوغسطس ببناء مكتبتين عامتين في روما ، ثم جاء الامبراطور تراجان ، فبنى أكبر مكتبة في روما القديمة ، وفي هذه الفترة ظهر هواة جمع الكتب ، وظهر أدب الرسائل المهم ، مما يدل على أهمية الكلمة المكتوبة في نقل المعارف عبر الدولة الرومانية الشاسعة . وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية والسياسية ، التي بدأت تضرب أطنابها في أرجاء الامبراطورية منذ القرن الثاني الميلادي فإن الاهتمام بالكتاب لم يتراجع ، وظل عدد المكتبات العامة في ازدياد متواصل ، كما طرأ تحول مهم على شكل الكتاب ومادته ، وبدأ الانتقال من الكتابة على ورق البردي إلى الرق ، كما أخذ الكتاب يتحول من شكله التقليدي القديم - اللفافة إلى الكراس . وقد استطاعت

الكراسات المصنوعة من الرقوق الصمود في وجه الزمن ، وظلت صالحة للاستعمال في أوربا حتى زمن غوتنبرغ .

وفي نهاية العصر الامبراطوري طرأت تغيرات كبيرة على شكل الكتاب والمادة التي يكتب عليها ، فقد كان التقليديون ، حماة الثقافة الوثنية يفضلون لفافات ورق البردي ، بينما كان أنصار المسيحية يفضلون الكراسات المصنوعة من الرقوق ، وفي البداية كانت الكتب المسيحية في منتهى التواضع ، بسبب قلة الإمكانيات المادية ، وما إن استلم المسيحيون مقاليد السلطة في القرنين الرابع والخامس حتى بدأوا إنتاج الكتب الأنيقة حيث تأسست الورشات الفنية لنسخ وتزيين الكتب ، في المكتبات والأديرة ، وقد بقيت هذه الورش المنتج الوحيد للكتاب على مدى ألف عام ، أي حتى نهاية القرون الوسطى .

الكتب والمكتبات في الحضارات الأمريكية القديمة

على الرغم من التطور الكبير الذي حققته شعوب أمريكا الوسطى والجنوبية في المجالين الاقتصادي والثقافي فإنها لم تولِ الكتاب أهمية تذكر .

فشعوب الانكا مثلاً ، أسسوا امبراطورية واسعة وبنوا المدن الكبيرة والحصينة ، ذات المباني الضخمة ، وشبكة ممتازة من الطرق وبرعوا في ميدان الزراعة والفلك ، لكنهم كانوا يفتقرون إلى الكتابة المتطورة ، وظلوا يعتمدون على طريقة المشافهة في التواصل ، بالإضافة إلى نوع بدائي من « الكتابة » يعرف باسم « كوبيو » ويعتمد على حبال مختلفة الأطوال والألوان والعقد لكتابة الرسائل القصيرة ، ويعد الـ «كوبيو» من أقدم الكتابات البدائية ، التي ابتكرها الإنسان .

هذا في البيرو ، أما في أمريكا الوسطى والمكسيك ، حيث سكنت أقوام المايا والأستيك والمستيك فقد ظهرت الكتابات الأكثر تطوراً ، لكن هذه الأقوام لم تتمكن من وضع أبجديات تقوم على النظام الصوتي ، وإن كان المايا قد توصلوا إلى نوع من الكتابة التصويرية المعقدة ، التي يسميها بعضهم - خطأ - بالهيروغليفية ، لكن أحداً لم يستطع حتى اليوم فك رموزها ، على الرغم من أن لدينا الآن الكثير من النصوص بهذه الكتابة . وكان المايا ينقشون النصوص التاريخية والدينية على التماثيل الحجرية

والمباني العامة ، كما استعملوا الخشب والصدف ، أما كتبهم فقد دونوها على الورق، الذي كانوا ينتجونه بأنفسهم من الخشب منذ القرن التاسع . وقد وصلتنا من مخطوطات المايا القديمة ثلاث تعرف إحداها باسم مخطوطة درسدن ويبلغ طولها ٦ أمتار ، وتحتوي على ٤٥ صفحة .

والواقع أن المكتشفين الاسبان والمبشرين قد دمروا الكثير من حضارة هذه الشعوب ، وكان مصير الكتب هو الأسوأ . كونها مصدر « خطر » كبير من وجهة نظر المبشرين . فكانت تحرق وتتلف ، بحجة أنها ملأى بـ « الخرافات والأكاذيب الباطلة » .

لكن هذه المؤلفات كانت في الواقع من أروع ما أبدعته هذه الأقوام ، وضمنته المعارف الفلكية والرياضية ، التي تراكمت لديها على مدى ألفي عام بالنسبة لشعب المايا .

ولم تكن كتب الأستيك بأفضل حظاً من كتب المايا . فقد دمرها المبشرون ، ولم تكتب النجاة إلا للقليل منها ، علماً أن شعب الأستيك كان يتميز بإنتاج غزير للكتاب . وكان أبناؤه يذهبون إلى المدارس ، وكانت كتب الفأل منتشرة على نطاق واسع ، حيث كان رجال الدين يعودون إليها قبل اتخاذ أي قرار مهم .

ولم يكن الأسبان وحدهم الذين أعدموا كتب الأستيك ، بل إن الأستيك أنفسهم قد ساهموا بذلك . حيث أمر الامبراطور إتزكواتل بحرق الكثير منها ، بحجة أنها تقدم معلومات خاطئة عن أصل هذا الشعب وثقافته .

مواد الكتابة وأدواتها :

تعددت مواد الكتابة واختلفت لدى الاغريق والرومان والصينيين والهنود خلال العصور القديمة . فقد استخدموا ورق البردي والرقوق كما استخدموا الحجر والمعدن والخاء الشجر وسعف النخيل والعاج والزجاج والطين المشوي والنسيج وألواح الشمع، وقد حظيت ألواح الشمع باهتمام واسع ، وعلى ذلك تدل الألواح الكثيرة التي اكتشفت في المدن اليونانية والرومانية القديمة , كما كتب اليونانيون على قطع الأواني الفخارية المكسورة ، إلا أن هذه القطع الفخارية لم تكن ملائمة لكتابة النصوص

الطويلة ، بسبب ضيق مساحتها ، ولكنها كانت رخيصة إن لم نقل مجانية ، و لم يقتصر استخدامها على اليونان ، بل واستخدمت في مصر زمن الفراعنة و البطالمة والعصر الروماني . حيث نجد عليها نصوصاً متنوعة بدءاً من الأشعار القصيرة ، وانتهاءً بالوصفات الطبية باللغة المصرية القديمة أو اليونانية وغيرها .

وفي القرن الثالث ق.م بدأ استخدام القطع الفخارية لتدوين الوثائق الرسمية والصلوات والرسائل والاتفاقيات التجارية ، ولتعليم الأطفال مبادىء الكتابة في المدارس ، وقد ظل الأقباط المصريون يستخدمون هذه المادة المجانية في الكتابة حتى فتح العرب لمصر .

ومن بين مواد الكتابة الأخرى جلد الثعبان ، وشرائح الذهب والفضة والرصاص . ويعد الرصاص ملائماً جداً للكتابة ، فهو معدن لين مما يساعد على الكتابة بسهولة ، وعلى طيه حسب الحاجة . هذا بالإضافة إلى متانته وإلى المزايا السحرية التي كان يوصف بها ، ولهذا كان اليونانيون والأترسكيون والرومان يستخدمون ألواح الرصاص لتسجيل الإشارات السحرية .

وبالإضافة إلى الرصاص فقد استخدم البرونز لكتابة الوثائق المهمة والقوانين والنصوص الدينية .

على أن ورق البردي كان مادة الكتابة الأهم والأكثر استعمالاً في العالم اليوناني – الروماني . وحسب كتاب بلين الكبير « التاريخ الطبيعي » فإن هذا الورق يؤخذ من نبتة تنمو في المستنقعات وبخاصة في دلتا النيل ، حيث يصنع من سوق تلك النبتة الموجودة تحت الماء ، والتي قد يصل عرضها إلى عرض يد الإنسان ، بطول قد يصل إلى المتر . ومن خلال عملية اللصق كان يمكن صنع شرائط يتراوح طولها بين ٦ – ١٠م ، وقد يصل طول الشريط إلى أكثر من ٤٠م .

وكانت الكتابة على البردي تتم على شكل أعمدة على طول الشريط ، وتوصل ببعضها من اليسار إلى اليمين . وكانت تستعمل أكثر من لفافة للكتاب الواحد ، إذا ما دعت الضرورة .

هذا ويعود استخدام ورق البردي إلى الماضي البعيد ، وأقدم النماذج المحفوظة في مصر تعود إلى نهاية الألف الرابعة ق.م .

فقد استخدمه الفينيقيون في نهاية الألف الثانية ، أما الآشوريون فاستخدموه منذ القرن الثامن ق.م ، وبعد ذلك بقرن أو قرنين بدأ اليونانيون استخدامه ، ومن اليونان انتقل إلى إيطاليا ، حيث أصبح يستخدم في روما على نطاق واسع خلال العهدين الجمهوري والامبراطوري . وكانت مصر أكبر منتج ومصدر لهذه المادة الهامة ، وقد وصلتنا من العهدين اليوناني والروماني النصوص الكثيرة المكتوبة على ورق البردي .

غير أن نوعاً آخر من الورق بدأ ينافس البردي ، إنه الرق ، الذي يعد من أهم مواد الكتابة في العصر القديم . والواقع أن بداية استخدام الجلد في الكتابة تعود إلى حضارات الشرق الأوسط ، حيث عثر في مصر على أقدم نص مكتوب على الجلد ، ويعود إلى القرن الخامس عشر ق.م ، وفي بلاد الرافدين بدأ استعمال الجلد في القرن التاسع ق.م ، ومن ثم استخدمه الفينيقيون واليونانيون والرومانيون .

وفي العصر الهلنستي اكتشف في مدينة برغام أسلوب جديد لمعالجة الجلد ، ومن هنا اشتقت تسمية الرق – برغامين ، نسبة إلى مدينة برغام ، وذلك في القرن الثاني ق.م ، بعد أن أوقف المصريون تصدير ورق البردي إلى هذه المدينة ، ونتيجة الطلبات المتزايدة للمكتبة الملكية ، وبسبب عدم انتظام وصول ورق البردي من مصر .

لكن الرق كان يكلف كثيراً ولا يمكن أن ينتج بالكمية المطلوبة لتغطية الحاجة المتزايدة ، ولذا فقد ظل عاجزاً عن منافسة ورق البردي ، إلى أن جاءت المسيحية ، فبدأت مرحلة ازدهار الرق ، إذ كان المسيحيون يفضلونه على ورق البردي ، نظراً لمتانته . ومع انتشار الرقوق بدأ الانتقال بالكتاب من شكله القديم – اللفافة ، إلى شكله الجديد – الكراس . وقد استمر هذا الانتقال لفترة طويلة ، ففي روما ظهر الكراس في القرن الأول الميلادي ، لكن اللفافة ظلت سائدة حتى القرن الثالث . ولم يتمكن الكراس من إزاحة اللفافة إلا في القرن الرابع الميلادي ، وذلك نتيجة العادة والتقليد أكثر منها نتيجة الأفضلية .

ومع مرور الزمن بدأت تتجلى ميزات الكراس وتفوقه على اللفافة : ففي الكراس يمكن أن تدون الكتابة على الوجهين ، كما يمكن أن تمحى النصوص القديمة وتكتب مكانها نصوص جديدة ، هذا بالإضافة إلى سهولة حمل الكراس وسرعة العثور

على الصفحة المطلوبة ، وإلى سهولة الترتيب على الرفوف ، ومما يميز الكراس أيضاً إمكانات تزيينه بالرسوم بشكل أسهل .

وبعد غلبة الكراس بدأ الكتاب يأخذ ملامح فاخرة ، من حيث تجليده ، وتزيين غلافه بشرائح الذهب والفضة والأحجار الكريمة .

بقي أن نشير إلى أدوات الكتابة ، فعلى ألواح الشمع كانت تستخدم الأقلام البسيطة ومن ثم المزينة والمذهبة .

وعلى ورق البردي والرق استخدمت الأقلام المصنوعة من القصب ، ثم استخدمت الأقلام المعدنية (البرونز والفضة) وريش الطيور ، وذلك باستخدام الحبر الأسود والأحمر .

الفصل الثالث
الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية

آ – العصر الجاهلي :

كانت بلاد العرب أكبر أشباه الجزر في العالم ، يبلغ أكبر أطوالها ١٤٠٠ ميل وأكبر عروضها ١٢٥٠ ميلاً . وهي من الوجهة الجيولوجية امتداد للصحراء الكبرى ، وجزء من الاقليم الصحراوي الرملي الذي يمتد إلى صحراء جوبي مخترقاً بلاد فارس .

وبلاد العرب هضبة واسعة ترتفع على مسافة ثلاثين ميلاً من البحر الأحمر ارتفاعاً فجائياً إلى ١٢،٠٠٠ قدم ، ثم تنحدر نحو الشرق انحداراً سهلاً في أرض جبلية جرداء حتى تصل إلى الخليج الفارسي .

عام ١١٥ ق.م قامت مملكة صغيرة في الجنوب الغربي من بلاد العرب هي مملكة الحميريين ، هاجمت مملكة سبأ ، وغلبتها على أمرها .

وكما وجد على نقش بابلي يعود تاريخهُ إلى ٢٣٠٠ ق.م اسم مملكة سبأ في بلاد اليمن . واتخذ ملوك سبأ مأرب عاصمة لهم ، وخاضوا الحروب وأنشؤوا أعمالاً عديدة منها سد مأرب ، وشادوا الحصون ، وفي القرن الثاني ق.م عبر بعض الحميريين البحر الأحمر واستعمروا بلاد الحبشة ونشروا الثقافة السامية بين أهلها الزنوج ، كما أدخلوا فيها كثير من الدم السامي (يطلق هذا المصطلح على سكان بلاد ما بين النهرين أي العراق ، وسوريا ، وفلسطين ،وبلاد العرب ،والسكان العرب في أفريقيا) .

اشتهر العرب في هذه الفترة بالتجارة وخصوصاً في مصر والجزيرة العربية .

كان خمسة أسداس السكان بدواً رحلاً ، يشتغلون بالرعي واتصفوا بالصبر والشجاعة .

كان العرب في الجاهلية مولعين بفصاحة اللسان ، وصحة الكلام ، وإلقاء الشعر ومولعين باللغة العربية ويمتدحونها في خطبهم وإلقاء الشعر ولكنهم لا يعرفون القراءة والكتابة ، ويعبدون الأصنام ، ولهم مشاكلهم القبائلية .

لذا يمكن تعريف الجاهلية : بأنه اسم أطلق على أحوال العرب قبل الإسلام لانتشار الوثنية وعبادة الأصنام ، وتفشي العداوات في تلك الفترة . ولم يعرف عن تلك المرحلة إلاّ ما قبل ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف القرن .

ويعود ما كتب عن الجاهلية بالإضافة إلى الأحاديث المروية في الكتب العربية على مصادر وموارد عديدة ساعدت المؤرخون والمستشرقون على تدوين هذه المرحلة وهي :

١ - النقوش والكتابات .

٢ - التوراة والتلمود والكتب العبرانية الأخرى .

٣ - الكتب اليونانية واللاتينية والسريانية وغيرها .

٤ - المصادر العربية الإسلامية .

وكانت الحالة الأدبية في العصر الجاهلي تعتمد على الرواية والرواة وذلك بنقل الأخبار من شخص إلى آخر ، وهم الذين ينقلون الأحداث أو الأمثلة أو الشعر عن أشخاص آخرين وتعطى الأمثلة والأسماء للتوثيق مع دلالات مرحلية وتاريخية أو مناخية لإثباتها زمنياً .

والموضوعات التي دونت في العصر الجاهلي عديدة وحسب ما مرّ به المجتمع وهي العهود والقوانين للتحالف والصلح بين المجتمعات .

كذلك العقود والصكوك التجارية ، وبعض الكتابات الدينية والأشعار التي كانت القاعدة الأساسية للرواية الشفهية بين الأفراد وأخيراً الرسائل .

ومن أشهر ما دون فيه من أحداث وظواهر عايشت تلك الفترة هي ما قيل من أشعار وأجودها التي كانت تقال في سوق عكاظ وبخاصة في المباريات التي تقام بين القبائل في كل يوم تقريباً ولمدة شهر كامل هي تلك الأشعار التي سميت بالمذهبات والتي احتفظ فيها الملوك والأمراء . ولكن العرب كانوا يسمونها بالمعلقات لأن القصائد الفائزة كانت تكتب على الحرير المصري بأحرف من ذهب وتعلق على جدران الكعبة في مكة ، وهي سبع قصائد يرجع تاريخها إلى القرن السادس الميلادي كذلك كانت هناك مصادر أخرى هي :

١ - المفضليات .

٢ – ديوان الحماسة لأبي تمام .
٣ – ديوان الحماسة للبحتري .
٤ – كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة .
٥ – مختارات ابن الشجري .
٦ – جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي .

ب – نشأة الخط العربي وتطوره :

لا بدَّ من ذكر أنهُ كانت تسود الأمية بين قبائل قريش ولم يعرف القراءة والكتابة سوى بضعة عشر من الأفراد . حيث اعتمد العرب القدامى على الحفظ والذاكرة في تعلم القرآن الكريم والحديث الشريف ، والرسول نفسه كان أمياً ، ولكنهُ منع كل ظواهر التخلف من عبادة الأصنام والتنجيم والسحر ، وأمر بالتعلم والمعرفة الواسعة .

ومما ساعد على تطور الحالة البدائية هذه وجود ثقافات ولغات محيطة بالإضافة إلى وجودها في المناطق مثل سورية وبلاد الرافدين ومصر وبلاد فارس مثل اليونانية والسريانية والفارسية والقبطية والرومانية .

نشأ الخط العربي في سنة ٥١٢م في المنطقة الجنوبية من بلاد الشام وفي شمال الجزيرة العربية واشتق في الأصل من الخط النبطي الذي كان هو الآخر مشتق من الخط الآرامي وانتشر في بلاد الشام والعراق بعد أن هيمنت الثقافة اليونانية والفارسية في العراق ، أكتمل الخط العربي في أوائل القرن السادس الميلادي .

بعد أن انتشر العرب في الأقطار وفتحهم لأفريقيا والأندلس تطور الخط بخاصة في عهد العمران ولاسيما مدينة دار السلام (بغداد) وتنوع في عدة مجالات هي : أولاً: الأماكن ، ثانياً الأقلام ، والوظائف ثالثاً مثلاً الجليل ، الثلثين ، النصف ، المنمنم، الدقيق ، الربع ، السدس .

وسمي في البداية الخط المكي ثم الحجازي ثم الكوفي . وهو أكثر الخطوط شبهاً بالخط النبطي وكانت مدينة الكوفة مركزاً لهُ . كانت له ثلاثة أشكال وذلك حسب المادة التي تكتب بها وهي الكوفي اليابس والكوفي اللين وكوفي المصاحف وتنوع الخط

الكوفي إلى نحو خمسين نوعاً ومن أشهرها : المحرر ، المشجر ، المربع ، المدور ، المضلع ، والهندسي ، وذكر الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب « أن للخط العربي شأناً كبيراً في الزخرفة » .

أما حسب الأماكن مثلاً :

١ - الخط الكوفي : وهو ثلاثة أنواع للمصاحف وهي : المائل - المشق - المحقق .

٢ - الخط المغربي : وهو مشتق من الخط الكوفي .

٣ - الخط السوداني .

٤ - الخط الديواني : وهو الخط الذي ابتكره العثمانيون واستعمل لكتابة الرسائل والسجلات الرسمية والكتب ، وكتب بطراز خاص عند كتابة الرسائل وخصوصيات الحكام والأمراء .

وأول من وضع قواعده هو الخطاط ابراهيم منيف وكتب بالقلم القصب بعرض أوسع عند القط أي القلم .

٥ - الخط الهندي .

٦ - الخط السمرقندي .

كانت هناك خطوط أخرى حتى بلغ عدد الأنواع هي إحدى عشر في زمن العباسيين مثل خط المصاحف ، خط الرقعة ، خط النسخ ، خط التعليق ، خط الإجازة.

أما الخط العربي لم يكن بهذه الحالة ما عليه اليوم ، فقد كان غير بالغ الجودة والإتقان لما كان فيه العرب من الجاهلية . حتى تطور مع مرور الزمن وحسب الفترات التي مرَّ بها من فترة الرسول ﷺ وكتابة المصاحف الأولى حيث كانت الكتابة غير جيدة ثم الخط بعد أن اقتبس العرب الخطوط من الأنباط والسريان وامتاز بعدم وجود الحركات والأعجام ، حتى ظهر في الإسلام من وضع لها الحركات وهو أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩هـ . الذي وضع القواعد الأساسية للنحو العربي ، واكملت

بالشكل الذي نعهده اليوم من حروف هجائية عربية بوساطة (نصر ابن عاصم) و (يحيى بن يعمر العدواني) في زمن الملك عبد الملك بن مروان .

هذا ويتميز الخط العربي في العهد الأموي بأربع ميزات هي :

١ - الشكل حيث اتخذ شكلاً جديداً .

٢ - الأعاجم وهي وضع التنقيط بعد أن كانت الحروف خالية منه .

٣ - ظهور النساخ أو الخاطين المشهورين منهم (قطبة المحرر) .

٤ - موقف الخلفاء وتشجيعهم للخطاطين .

واشتهر الخط في العهد العباسي بوجود الخطاطين المشهورين (الضحاك بن عجلان) و (اسحاق بن حماد) .

انتهت جودة الخط في الكتابة العربية للوزير أبي علي محمد بن مقلة (٢٧٢ - ٣٢٨هـ) و (٨٨٥ - ٩٣٩م) وهو أول من قرر للخط معايير يضبط بها. حتى القرن الخامس اشتهر في العراق رئيس الخطاطين (علي بن هلال المعروف بابن البواب) المتوفى سنة ٤١٣هـ . وهو الذي أكمل قواعد الخط وهندسته وهذّب طريقة ابن مقلة ونقحها وأنشأ مدرسة للخط استمرت إلى عهد ياقوت المستعصمي .

تنوع الخط في العصر العباسي الثالث وذلك حسب القلم الذي كتب به ، مثل الخط الوراقي أو النسخي هو القلم الجليل أو قلم المختزل أو الاسم الثالث هو المقرمط ويعنى به وصف البخيل والفرق عن قلم الجليل إذا نقل الموضوع من الكتابة بالقلم المقرمط إلى الجليل لوقع في أكثر من ثلاثة آلاف جزء بعد أن كتب في ألف وثلاثمائة جزء بالخط المقرمط .

كذلك كانت للخطوط ما سمي بالناعم أو الخشن وما يتصف بالوضوح أو عدمها ، بالإضافة إلى النوع الثاني وهو الكتابة الجافة التي كانت تكتب على المساجد والمباني . وكان الخطاطون لهم صفاتهم وأعمالهم المتميزة ويختلف من شخص لآخر مثل خطاط يترك المسافات الكبيرة بين الأسطر لكي ينتهي من الكتابة سريعاً أو يحصل على المال ، أو بعض الخطاطين يقومون بتصغير المسافة والكتابة الناعمة بالإضافة إلى

مط الحروف أو مدها أو زخرفتها لغرض التجميل . وعد العرب الخط والزخرفة مما لهما المكانة الأولى في التدوين والنسخ .

الكتابة وموادها :

امتازت الكتابة في هذه الفترة بالتنوع وذلك حسب المناطق مثلاً كان الأنباط في الشمال وكتبوا بالخط النبطي ، وسكان اليمن كتبوا بالحرف المسند ، وبعد رحيلهم إلى الشام أو العراق عادوا فكتبوا بالخط النبطي أو الخط السرياني الذي ولد منهُ الخط العربي .

واختلفت الكتابة العربية الجنوبية وذلك حسب المناسبات وطبيعة الموضوع .

كان القلم المسند يختلف في أشكال حروفه اختلافاً كبيراً عن حروفنا اليوم . واشتق من هذا القلم ما يسمى بالقلم اللحياني والقلم التمودي والقلم الصفوي . ويعد قلم المسند أقدم الخطوط يتألف من ٢٩ حرفاً تكونت منها أبجدية العرب الجنوبية وهي كلها حروف صامتة خالية من الحركات أقدم أشكال الخط كان الشكل النسخي والشكل الكوفي .

المواد التي استعملت في الجاهلية هي الرقوق الأخرى متنوعة وأشهرها ما سميَّ بالقلم وترجمت من اللغة اليونانية حتى أصبح اسمه كالموس Calmus ويعني به : القصبة المنحوتة أو الخشبة المبرية المقطوطة والتي تغمس بمادة ملونة هي المداد أو الحبر ، وكان لونه على الأغلب أسود أو أحمر .

المادة الثانية هي المحبرة أو الدواة .

أما المواد التي كتب عليها في هذه الفترة أشهرها الرق بالإضافة إلى العظام العريضة مثل الأكتاف ، وسعف النخيل .

أما أنواع الأقلام العربية وذلك حسب الموضوع الذي كتب مثلاً القرآن كان في البداية قد كتب بأربعة أقلام اشتق بعضها من بعض واشتهر بها قطبة المحرر . حتى أصبح أنواع الخط في آخر الدولة العباسية ١٢ اثنا عشر خطاً . وتوجد مواد أخرى استعملت حسب الفترة الزمنية والحاجة للكتابة ، ومدى وعي الأفراد وإيجاد الوسائل وتطور المعادن والأخشاب كان لها الأثر في تحسن وتطور هذه المواد مثل :

آ – المدية : وهي السكين التي يبرى بها القلم .

ب – المسطرة : وهي من الخشب استعملت في التسطير للكتابة على الورق .

جـ – المِصقلة : بكسر الميم وهي التي تصقل الذهب بعد الكتابة .

د – المنفذ : وهي آلة تشبه المخرز استعملت لخرم الورق أو الرق .

هـ – المداد : وهو الحبر أو المداد الذي كان يصنع من الفحم أو السناج مذاباً بسائل لزج كالصمغ وكان يجلب من الصين .

الكتب والمكتبات في الدولة الأموية

دام حكم الدولة الأموية للفترة ما بين العقد السابع من القرن السابع الميلادي وحتى القرن الثامن الميلادي (٦٦١ – ٧٥٠) للميلاد .

امتازت هذه الفترة بتدوين القرآن الكريم وأحاديث الرسول والاهتمام بالعلوم والمعرفة والحكمة والفلسفة من قبل العرب وهي المرحلة الأولى .

أما الثانية وهي مرحلة التصنيف والتأليف التي تناولت المواد المجموعة بالتنظيم والتنسيق والتحليل والاستنباط والمقارنة والابتكار ، فقد كان الفقه والتشريع نتيجة التدوين للأحاديث والمعاجم نتيجة لتدوين اللغة ، والنقد الأدبي نتيجة لجمع ما نظم من شعر ونثر .

ويرى الباحثون إنَّ بداية تدوين التاريخ كانت عند الأمويين في خلافة معاوية بن أبي سفيان الذي أمر بجمع القصص الاجتماعية والأخبار التاريخية وتسجيلها على أوراق البردي وجلود الغزال وغيرها من أدوات الكتابة عند الأمويين وجمعها في مكتبة قصر الخلافة في مدينة دمشق وانتقلت مكتبة معاوية في قصر الخضراء في مدينة دمشق إلى الخلفاء الأمويين مثل عبد الملك ابن مروان والوليد بن عبد الملك وغيرهم من الخلفاء اهتموا بالعلوم والثقافة وتقدير العلماء وجمع الكتب والمخطوطات العربية وترجمة بعض المؤلفات اليونانية إلى اللغة العربية في ترجمة كتب الطب والكيمياء والعلوم الطبيعية اليونانية ، من قبل طبيب نسطوري كان في بيت الحكم هو حنين بن اسحق (٨٠٩ – ٨٧٣م) وقد ترجم لوحده إلى اللغة السريانية مائة رسالة من رسائل جالينوس ، ومدرستهُ العلمية .

كانت الدولة الأموية التي سبقت العهد العباسي تمتاز بقصر فترتها أولاً ، وتعدد الأحزاب والجماعات ، وانشغال حكامها بالنزاعات التي دارت بين الجماعات المتخاصمة ، مما جعلها تضعف من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في الشام . بالإضافة إلى ذلك تأثير العوامل الخارجية وهي تدخل بني العباس وتغلغلهم حتى وصولهم إلى الحكم .

أشهر المكتبات الخاصة المشهورة في الدولة الأموية هي :

١ - خزانة الكتب التي جمعها المؤرخ والفقيه المشهور (الزهري) .

٢ - خزانة كتب الإمام مالك مؤسس المذهب الملكي التي جمع معها بقية الكتب الدينية .

٣ - خزائن الكتب عند كتاب الدولة الأموية وأدبائها وشعرائها . مثل عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وجرير والفرزدق .

٤ - خزائن الكتب الخاصة مثل خزانة الكتب التي كتبها عن العرب أبو عمرو بن العلاء .

أما المواضيع التي كتب عنها فهي متنوعة مثل : الأحاديث والسير النبوية ، والأخبار التاريخية ، الأشعار ، والتنجيم والأساطير ، والروايات والقصص ، والتراجم ، والأدب .

الكتب والمكتبات في العصر العباسي :

تميزت هذه المرحلة بعد مجيء الإسلام بتوسع العرب وذلك من خلال الفتوحات والغزوات ووصلوا إلى أنحاء العالم وتمازج ثقافات هذه البلدان المحررة (سورية ومصر والعراق وبلاد فارس) بالثقافات المحيطة واطلاع العرب على مكتبات الفرس التي كانت تتميز بالتنظيم والذوق ، وأسسوا مكتباتهم على النمط الفارسي إلى حد ما ، حيث أن الحضارة الفارسية والقريبة من هذه البلدان قد بلغت أوجها بخاصة في زمن كسرى آنو شروان . وأصبح العرب الوريثين الوحيدين لهذه الحضارة المتأثرة هي الأخرى بالثقافة اليونانية بخاصة بعد طرد الفلاسفة من أثينا ولجوؤهم إلى الامبراطورية الفارسية سنة (٥٢٩م) .

اتفق المؤرخون على تقسيم الدولة العباسية إلى مرحلتين أساسيتين هما العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ) والثانية (٢٣٢ - ٦٥٦هـ) واستمرت هذه الفترة زهاء خمسة قرون ، انتهت بسقوط الدولة العباسية على أيدي التتار .

العصر العباسي

وهو ما يعبرون عنه بالعصر الذهبي الذي تميز بوجود مميزات هي :

١ - **اكتشاف الورق** : والذي يعد الطفرة النوعية في أدوات الكتابة والكتب والمكتبات ، وكان على أنواع حيث كثر استعماله في عهد هارون الرشيد وظل يستعمل منذ أن اكتشف بوساطة الفتوحات العربية وإلى الآن .

٢ - **الكتاب** : وهو المكان الذي كان يتعلم فيه الأولاد مبادىء القراءة والكتابة واللغة . واستعملت الأماكن الدينية في العراق .

٣ - **المساجد** : كان المكان الأساسي وعد من المعاهد الدراسية لتعلم القراءة والكتابة ودروس الأخلاق والفروسية ... إلخ .

٤ - **المجالس والندوات** : عدت من النشاطات الحيوية التي قام بها مشرفي المكتبات وأغلب الأحيان في دور العلماء والخلفاء ودكاكين الورق .

٥ - **المكتبات** : تأسيس المكتبات بأنواعها واتباع الأنظمة والقواعد الأولى في تنظيم الكتب وتصنيفها ، وإنشاء أشهر المكتبات مثل مكتبة بيت الحكمة في بغداد ، ومكتبة جامع الأزهر في مصر ، ومكتبة آل عمار في طرابلس (الشام) ودار العلم في الأندلس ... إلخ . (انظر أنواع المكتبات) .

ازدهرت الحالة الثقافية في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ/٧٥٤م) - (١٥٨هـ - ٧٧٥م) وذلك بعد أن اتخذت مدينة دار السلام (بغداد) العاصمة للدولة العباسية بعد تدهور الدوة الأموية التي كان مقرها مدينة دمشق لأسباب عديدة منها النزاعات والحروب .

تعددت مراكز الثقافة بالنسبة لأي عصر وما يحتويه من نشاط فكري حتى تمركزت في مكة المكرمة والمدينة كانت من أهم المراكز للنشاط الفكري في الحجاز والبصرة والكوفة في العراق ودمشق في بلاد الشام والفسطاط في مصر .

امتازت الحركة الثقافية بالقوة والعمق والابتكار حتى انطلقت منها أكثر المذاهب الفكرية كمذهب المعتزلة وكانت الأساس لانطلاق حركات اجتماعية تدعمها منطلقات فكرية كحركة القرامطة ، وجماعة اخوان الصفا نتيجة حتمية للمناخ الخصب الذي ساعد العلوم والفلسفة والمؤلفات العديدة التي سميت (برسائل اخوان الصفا) والتي بلغ عددها (٥١) رسالة بعدة مجالات .

كان هذا العصر الزاخر بالأدب والأدباء والمؤلفات والمترجمات والكتابات الغزيرة والعلماء ، حتى بات من الأفضل تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين هما :

١ - الأدب والأدباء .

٢ - العلم والعلماء .

فالقسم الأول وهو الأدب والأدباء : ازدهر في هذه الفترة بالدراسات الأدبية والنقدية المترجمة من لغات عديدة إلى العربية . وتفضيل الشعراء وتقويمهم بالأموال الطائلة من قبل الحكام والأمراء مثل البهاء زهير وابن خفاجة ، وأبي الفرج الأصفهاني والجاحظ وابن خلدون والمرزباني ... ومما شجع ذلك موقف الخلفاء وبذل العطايا بالإضافة إلى الظروف المؤاتية لرعاية المؤلفين والعلماء واللقاءات في مجالس أدبية واجتماعية تساعد على وفرة الإنتاج الأدبي والفكري مما أعطى زخماً قوياً للحركة الثقافية وظهور دراسات تبرز المبدعين .

أما القسم الثاني وهو العلم والعلماء : فكان لا يقل أهمية بالنسبة للمسلمين وحب الاطلاع على المعرفة والعلوم جراء الاطلاع على الثقافات الموجود آنذاك وتخصصت بالمواضيع الفلسفية ، وعلم النحوم ، والطب ، والكيمياء والجغرافيا والتاريخ واشتهر في هذا المجال علماء مثل العالم أبي الريحان محمد ابن أحمد البيروني (٩٧٣ - ١٠٤٨) وهو عالم إسلامي وفيلسوف ومؤرخ ورحالة وجغرافي ولغوي وفلكي وشاعر وعالم .

كذلك الفيلسوف أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي الذي ولد في البصرة وتوفي سنة ٨٧٣م .

أما في مجال الرياضيات والفلك كان هناك علماء مشهورين وأولهم الخوارزمي . ومن أشهر الأطباء هو أبو بكر محمد الرازي ، والعالم الآخر هو أبو علي الحسين ابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧) . وفي مجال الجغرافيا كان أبو عبد ياقوت (١١٧٩-١٢٢٩م) .

١ – التدوين والنسخ :

نشأ التدوين في المرحلة الأولى من الإسلام ، وأول من أمر بتدوين القصص والأخبار والأحداث المهمة في هذه الفترة هو معاوية بن أبي سفيان ، اعتمد في سرد القصص التاريخية وبخاصة معرفة تاريخ اليمن وملوك العرب والعجم مدعومة بالأشعار والقصائد الرنانة ، والأهم من ذلك الأحداث التي لها علاقة بالرسول الكريم وبالحديث الشريف ، ثم تسجيل سيرة الرسول بالاعتماد على الرواة وما مدى صدق أحاديثهم . كان ذلك في القرن الثاني للهجرة .

اتسمت هذه الحركة للتدوين اهتمام المؤرخين لما لها من جدية وأمانة علمية ودراية وتصنيفها عن الأحاديث المنسوبة (وغير المؤكدة) إلى الرسول الكريم وصحبهُ، وفتوحات وأنساب العرب التي أصبحت موضوع التأليف عند العلماء ووضع القواعد والمناهج لتحقيق ما كتب في هذا المجال .

وأقدم ماكتب في سيرة الرسول وهو سيرة ابن اسحق برواية ابن هشام تعود إلى أوائل العصر العباسي ، وقد اعتمد الكتب والمصادر الأخرى التي سبقته .

كان من اهتم بهذا الموضوع وتودين سيرة وأحاديث الرسول هو عروة بن الزبير المتوفى سنة ٧١٢م . وأشهر الكتب ما كتبه حاجي خليفة بعنوان مغازي الرسول . والشخصية الثالثة التي عنت بالحديث والمغازي هو ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤هـ ، الذي كان من الفقهاء والمؤرخين الأوائل في تدوين سيرة الرسول .

كان لنسخ المعلومات والأحداث والسير الذاتية ونقل المؤلفات المخطوطة الاهتمام الكبير من قبل الحكام والكتاب وتشجيعهم للنساخين وأحد الأركان الأساسية مثل الترجمة والتأليف والتدوين للعلوم والمعرفة حتى أصبح لها شروط بالنسبة للنسخ والناسخ وهي كما يلي :

آ – **شروط النسخ** : أن تبدأ الأبواب بالحمرة ، وفواصل الكلام ، كان لا بأس به على أسماء ومذاهب أو أقوال أو أنواع اللغات ، ليبين اصطلاحه وفاتحة الكتاب ليفهم القارىء معانيه . كذلك يجب أن يفصل بين الكلامين بدائرة ، ودقة التعبير ،

وجودة الخط ، والتلوين والزخرفة والتنقيط ، وحسن الورق والتزيين بالذهب ، والاهتمام بالمظهر الخارجي ، وتبطين المخطوط بالحرير لحفظه .

ب – شروط الناسخ : كان على الناسخ شروط تظهر مدى جودة الكتاب من الناحية الجمالية وإضافة جانب لتقويم من هو ناسخ المخطوط وشهرته مثلاً كان يجب على الناسخ أن يكون ذا اطلاع واسع بالثقافة والمعرفة بالموضوعات الأساسية المطروحة والمعتمدة وهي : آ – العلوم الإسلامية ، ب – العلوم التاريخية ، جـ – العلوم الحسابية (الرياضيات) ، د – العلوم العربية .

وقد كان للناسخ أن يتمتع بحسن السيرة والأخلاق ، والأمانة في النقل والوفاء ، ومعرفة لغة أجنبية ، ويحسن القراءة والكتابة ، والخط الجميل . وقد كان الناسخ محمد بن عبد الله بن عطوس المتوفى سنة ٤١٤هـ ، يضع الألوان لكل حركة أو همزة أو كسرة ، وروعي مدى البعد بين السطور ونوع القلم ، ووفرة الورق .

لكن الضوابط هذه والشروط للاستنساخ قد جرى عليها التجاوز من قبل بعض النساخ وهي كما يلي :

١ – الاستعجال في كتابة عدة كراريس في يوم واحد ، وذلك من أجل الحصول على المال .

٢ – عدم الاهتمام بالكتابة وقد تطول المدة وتكثر الأخطاء .

٣ – تنسيب بعض المؤلفات إلى أسماء أخرى أي (سرقة المخطوطات) .

٤ – ظرف الناسخ النفسي : وذلك ما إذا كان في حالة نفسية غير جيدة أو مكتئباً . تعرضت المؤلفات إلى وجود الأخطاء في الكتابة ، أو الاختصار ولم تجر الإشارة إلى الاختصار .

والخلاصة : إن العرب كان لديهم اهتماماتهم الكثيرة مثل : المعرفة ، وحب الاطلاع على الثقافات المتعددة ، والفلسفة ، والطب ، والعلوم الأخرى . التي كانت قد شملت جوانب الحياة للحكام والأفراد ونقلت بوساطة التدوين والنسخ بحيث امتدت فترة ليست بالقصيرة حتى انقسمت إلى مرحلتين هما :

١ - مرحلة التدوين للأحداث بعد التجميع والتقصي ورصد الأخبار وتسجيلها.

٢ - مرحلة التصنيف والتأليف كانت تتناول المواد والموضوعات بالتنظيم والتنسيق ثم تحلل وتقارن حتى تصل إلى مرحلة الابتكار .

٢ - الورق والوراقون :

كان لاكتشاف الورق الأثر الكبير في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية ، وانتشار المؤلفات من الصين إلى الجزيرة العربية ومن ثم إلى أوروبا .

كانت الأدوات الوسائل تتطور في كل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات وذلك نظراً للحاجة البشرية ، وتطور الوعي وازدياد المعرفة واستعمال ما يسهل سير المهمات مثل استعمال المعادن والنقود في زمن تطور للصناعة ما عدا ذلك لعبت التجارة دوراً كبيراً في انتقال الثقافة والتوسع في الوصول إلى الثقافات الأخرى ، والأهم من ذلك هو أن العرب القدامى وفي سنة (٧١٢م) وعلى أثر الفتوحات والغزوات عندما وصلوا إلى تركستان السوفييتية ، وأسرهم عدداً كبيراً منهم وكان من بين الأسرى صناع الورق كان الصينيون قد عرفوا هذه الصناعة واحتفظوا بسرّها حتى وصول العرب إلى مدينة سمرقند ووجدوا مصنعاً وأبقوا عليه ، وطوّروا هذه الصناعة وخطوا بها خطوات متقدمة . ويقول « آدم ميتز » « إن الكاغد (الورق) الذي نقل العرب صناعته من الصين ، قد نال على أيدي المسلمين التغيير الهام الذي يعد حدثاً في تاريخ العالم » .

كان الصينيون قبل صناعة الورق بوقت طويل يحاولون الوصول إلى مادة رخيصة للكتابة عليها تقوم مقام سيقان نبات البامبو (الخيزران) المجوّفة . وتوصلوا إلى الكتابة على الحرير الغالي الثمن . وكان الناس يستعملون الحرير بتقطيعهُ إلى أجزاء صغيرة وتركها في الماء لتنقع وتتحول إلى عجينة ناعمة ، وتجفف لتصبح نوعاً من الورق الخفيف ولكن ذلك كان يكلف غالياً . واعتبرت هذه المادة هي الأولى في صناعة الورق .

أول من اكتشف الورق في الصين الموظف الصيني في القصر الامبراطوري واسمه تساي لون (Tsailun) عام (١٠٥م) من اختراع طريقة جديدة وهي إنتاج الورق من الأقمشة القديمة أو شباك الصيد القديمة وبعض الحشائش ، وقدم هذا المقترح إلى الامبراطور (Ho-Ti) فنال جائزة الامبراطور على هذا الاكتشاف الرائع .

كانت مصانع الورق قد انتشرت بعد أن عرفت صناعته في دمشق وتبريز وانتشرت منذ القرن الرابع الهجري وحتى القرن السادس في مدينة فاس بمراكش واسبانيا ، حتى أخذ الورق العربي يصدر إلى البلاد الأخرى ، وذلك لنوعيته الجيدة(*).

كان أول مصنع قد تأسس لصنع الورق في بغداد ، قبل نهاية القرن الثامن أي سنة (٧٩٤م) . وكان قبل ذلك في سمرقند النوعية العالية وسمي بالكاغد السمرقندي، بوجود عامل مهم هناك ألا وهو غزارة المياه التي يحتاجونها في صناعة الورق .

أما في مصر فكان أول مصنع صنع الورق الذي كان من عجينة الكتان سنة ٨٠٠م هذا واشتهرت الأندلس وبصورة خاصة بصناعة الورق وكان مركزهُ مدينة شاطبة (Jativa) التي كانت تصدره إلى أوروبا ، وأسس أول مصنع في الأندلس عام (٩٥٠م) وفي شمال افريقيا نحو القرن الحادي عشر . وتعلم الأوربيون صناعة الورق عن طريق الأندلس . وبوساطة الحروب الصليبية فنجد أن أول مصنع لإنتاج الورق كان في صقلية سنة ١١٠٢م وفي ايطاليا سنة ١١٥٤م وفي ألمانيا سنة ١٢٢٨م ، وفي انجلترا سنة ١٣٠٩م .

صناعة الورق :

كان الورق يصنع على مراحل عديدة هي :

١ – توضع الخرق البالية في القدور ومعها محلول قوي من ماء الكلس .

٢ – يغلى الخليط ثم بعد ذلك تغسل الخرق جيداً ، ثم تحول إلى طواحين كانت سابقاً تستعمل في طحن القمح قبل استخدامها في صناعة الورق في أوروبا .

(*) ظهور الكتاب / لوسيان فافر .

٣ – تسحق الخرق في ماء الصابون المعبَّر بعناية للحصول على معجون ذي كثافة مناسبة وهو معجون الورق الذي يوضع داخل وعاء مملوء بالماء الساخن بدرجة حرارة معينة .

٤ – يوضع معجون الورق ما يسمى بالقالب وهو عبارة عن هيكل من الخشب مزود بشبكة لها خيوط (ما يشبه المصفاة اليوم) .

٥ – يسحب هذا الورق من القالب أو المصفاة وتنشر فوق قطعة من اللباد لكي تمتص منها المياه ، ثم تجمع الأوراق وقطع اللباد ، وتوضع تحت مكبس يعمل على تجفيف الورق من الماء ، وتكرر هذه العملية عدة مرات .

٦ – توضع هذه الأوراق فوق منشر صغير أو لوح خشبي لتجف تحت أشعة الشمس في الهواء الطلق .

٧ – يتم تغطية الورق بطبقة من الصمغ الذي يكسبها مظهراً ناعماً وأملس ويمنع انتشار الحبر عن الكتابة .

وتذكر بعض المصادر أن صناعة الورق انتقلت إلى مدينة طليطلة منذ القرن الثاني عشر الميلادي ، كان قد مضى على معرفة العرب للورق قرابة قرن من الزمن ، وقبل أن يتعرف الأوربيون على قصاصة ورق واحدة ... حتى بدأت صناعته في مصر وكثر استعماله حتى أن الباعة أو الأفراد أخذوا يلفون به الخضر والفواكه .

اهتم العرب بالورق لأهميته في مجالات متعددة مثل النسخ والتدوين والتأليف حيث أشار القلقشندي في كتابه « صُبح الأعشى » إن الورق كان كثيراً في زمن الخليفة هارون الرشيد (٧٧٦ – ٨٠٩) الذي أمر الناس بأن لا تكتب بعد الآن إلا على الورق (الكاغد) ، لمزايا الورق وهي إنه لا يمكن التزوير ولا الكشط أو المحو .

توافرت المعامل الخاصة بصناعة الورق ورخص ثمنه وأصبح تجارة مربحة بالنسبة لتجار الورق ، الذين ألفوا طبقة معينة خاصة بهذه المهنة وما يتبعها مثل (الكتابة ، النسخ ، النقل والترجمة ، التصحيح ، البيع والشراء) . هؤلاء سموا بالوراقين ، وقد لعبوا دوراً مهماً في انتعاش الثقافة وتوسعها من خلال الحصيلة النهائية لهذه المهنة ألا وهي الكتب وتداولها بين الأفراد وتكون بداية المكتبات في الدول العربية. اعتمدت مهنة الوراقة على مسائل أساسية وهي :

١ – الورق ، وبقية مواد الكتابة .

٢ – النسخ ، وما يتبعه من زخرفة وتصوير وتذهيب .

٣ – التجليد ، ومواده وفنونه .

٤ – بيع الكتب ، وتبادلها وشراؤها بين الأفراد والحكام .

اشتهر بالوراقة مؤلفون وعلماء اتصفوا بالأمانة والأخلاق والثقافة لكل من يعمل بها وانتشرت دكاكينهم الوراقية على طول البلاد وعرضها ، واهتموا ببيع الورق وشرائه ومواد الكتابة وأصبحت له السوق المربحة لهم بالإضافة إلى النسخ للمؤلفات . ومن هؤلاء العلماء اشتهربالوراقة في العراق أبو عبد الله الوراق الجهني الواسطي المتوفى سنة (١٥٩هـ) (٧٧٥م) ، كذلك العلامة ابن النديم صاحب كتاب الفهرست الذي الفه سنة (٣٧٧هـ) ، وياقوت الحموي الذي كان يتاجر ببيع الكتب ونسخها ، وزكريا بن يحيى كان هو الآخر ورّاقاً للجاحظ ، وسعد بن علي بن القاسم أبو المعالي الأنصاري الخطيري .

امتهن هذه المهنة أشخاص غير أكفياء وهم ليسوا بمستوى المهنة ، التي تتطلب كما ذكرنا سابقاً بالأمانة والإخلاص والثقافة ، وأصبحوا يسيئون إلى هذه المهنة ، وهي نسبة كتاب معين إلى غير مؤلفه ، أو التزوير للحقائق ، أو المبالغة في توضيح المعلومات أو نقل خبر أو حدث ما .

كانت الوراقة ودكاكينها في مصر وسورية لا تقل عن وجودها في بغداد التي استعملت هذه الأماكن لغرض آخر ألا وهو الالتقاء بين الأدباء والعلماء لمناقشة أهم الأخبار الاجتماعية والعلمية والأدبية والمناورات في الشعر .

المهمة الثالثة للوراقين بعد شراء وبيع الورق ، والتجارة به والنسخ كانت هي التجليد التي كانت تعنى بتغليف دفتي الكتاب بالجلود أو المخمل الثمين أو الجوخ المذهب بالنسبة للكتب النادرة والمحفوظات . وبعد ذلك كانت تزخرف برسوم أو صور للأزهار مثل الزنبق أو الطيور وتذهب عناوينها وفصولها بماء الذهب .

٣ – الترجمة :

مرّت الترجمة من اللغات المحيطة بالمنطقة العربية وهي اليونانية والسريانية والرومانية والفارسية والاغريقية إلى اللغة العربية بمرحلتين أساسيتين هما :

١ – **الأولى** : وتبدأ من العصر الأموي واهتم بهذا المجال الأمير خالد بن يزيد ابن معاوية ، وأعطى الاهتمام الكبير للمترجمين وأغدق عليهم بالأموال تنتهي هذه المرحلة في أول خلافة المأمون ووصلت إلى مستوى عال جداً .

٢ – **الثانية** : تبدأ بالخليفة المأمون وتستمر حتى القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) .

كان الخليفة المأمون يحب العلم والعلماء وامتلاك الكتب وجمعها وترجمتها من الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية ، ومن اللغة اليونانية إلى العربية كما كان المترجم حنين بن اسحق (٨٠٩ – ٨٧٣م) الذي كان شاباً متحمساً للعلم وللنقل من لغة إلى أخرى حيث كان يتقن اليونانية والسريانية ولكنه كان ضعيفاً بالعربية لكنه تعلم اللغة العربية حينما رافق الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان في أرض فارس وذهب إليه حتى أتقنَّ اللغة العربية . وعمل بخدمة المأمون في بيت الحكمة لمراقبة النقل من اليونانية إلى العربية بمواضيع مختلفة منها العلمية والأدبية والفلكية والفلسفية والطبية مثل كتب ابقراط وبطليموس وجالينوس وبصورة خاصة كتب الفيلسوف ارسطو . كانت طريقة الترجمة تتم بأن توضع كلمة عربية مقابل الكلمة الأجنبية ، وبعد ذلك حسَّنَ الطريقة وجعلها أي الترجمة حسب المعاني للجملة المنقولة بلغة عربية صحيحة . ثم ترجم من اللغة العربية إلى اللغة السريانية ، حيث ترجم وحده مائة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العلمية . وإلى اللغة العربية (٣٩) رسالة . كما ترجم كتب المقسولات والطبيعة والأخلاق الكبرى لأرسطو . وكتب الجمهورية والقوانين لأفلاطون وعهد ابقراط وكتاب الأربعة لبطليموس .

ومن المترجمين للغة الفارسية إلى العربية العالم عبد الله بن المقفع فارسي الأصل الذي ترجم بعض الكتب في المنطق والطب .

والعالم أبو زكريا يوحنا بن ماسويه توفى سنة ٨٥٧م وثابت بن قرة الذي عاش في فترة الخوارزمي نفسها وتوفى سنة ٨٤٣م .

كان النقل أو الترجمة يعد من المهمات الضرورية اتخذته الدولة عملاً رسمياً تنفق عليه من الميزانية ، وتعتمد له المراكز والأماكن والسفر ومتطلباته لجلب الكتب أو

ترجمتها من أولى اهتمامات الخلفاء ، حتى أسست لها المكتبة المشهورة ببيت الحكمة في بغداد وعدت في حينها مركز للنقل والدراسات والبحوث وعدت المكان الأول للمراسلة والتعلم فيها . كان للترجمة المناخ المناسب لانتعاشها لتوافر عدة أسباب هي :

١ - تشجيع الخلفاء والحكام والدولة لهذ الجانب الحيوي وهو نقل العلوم والمعرفة والآداب وثقافات اللغات المحيطة بالعرب .

٢ - توسع الامبراطورية الإسلامية والرغبة في الاطلاع والترجمة للمناطق التي تم غزوها أو امتلاكها للثقافة والأدب وغيرها من العلوم .

٣ - عقد المجالس الأدبية والندوات الثقافية .

٤ - البحث عن المعرفة من النقاشات وظهور حب الاطلاع على مزيد من المراجع والمؤلفات القيمة .

دامت هذه المرحلة من عام ٧٥٠م حتى عام ٩٠٠م . كان نتاجها هو انتعاش المكتبة العربية وإغناؤها بكنوز الأدب والعلم المترجمة .

٤ - التأليف :

اعتمد العرب منذ بداية حركة التدوين على الرواية والأحاديث ونقل الأخبار بوساطة الأفراد بقولهم قال فلان الفلاني الذي قال عن فلان ... إلخ ، ثم كتبت الأحاديث للسيرة النبوية والفتوحات والغزوات والانتصارات ، وساعد على ذلك وجود العامل الأكبر في غزارة الكتابة والتأليفات هو اكتشاف الورق بأنواعه التي بلغت (١٢) نوعاً وسمي حسب الأماكن والمعامل التي أسست في العراق ومصر والمغرب والأندلس .

بلغت التأليفات أوجها في العصر العباسي الثالث (٣٣٤ - ٤٤٧هـ) وسمي بالعصر الذهبي الذي تميز بالحركة الثقافية والأدبية والعلمية فكان عصر الأدباء وعصر العلماء وعصر المؤرخين ، حتى سمي بعصر المتنبي وعصر البحتري وأبي فراس الحمداني والجوهري والرازي وابن سينا وابن الفارض وابن خفاجة وابن عساكر والأصفهاني . واشتهر في مجال اللغة والأدب التبريزي والحريري ، وفي الفلسفة والفكر ابن رشد ،

وابن حزم وابن سينا ، والغزالي ، والشهرستاني ، وابن باجه ، وفي التاريخ والتراجم كان ابن خلكان ،وابن عساكر ، والبغدادي ، والخطيب والدينوري ، ومن أشهر علماء الجغرافيا عبد الله محمد الادريسي الذي ولد في سنة عام ١١٠٠ وقد تلقى العلم في قرطبة . كتب كتابه المشهور (كتاب روجاري) وقد قسم فيه الأرض سبعة أقاليم مناخية ، وكانت الخرائط التي رسمها أعظم ما أنتجهُ في العصور الوسطى ، يعد تقسيم كل أقليم إلى عشرة أجزاء وجعلها على خريطة تفصيلية إيضاحية . كذلك اشتهر أبو عبد الله ياقوت (١١٧٩ - ١٢٢٩م) . كان ياقوت كثير الأسفار ، للتجارة أولاً ثم سافر لدراسة الأرض وأهلها لأنهُ أُعجب أشد الإعجاب ببلادها وسكانها ولباسهم وأساليب حياتهم ، وكتب كتابه المشهور (معجم البلدان) وهو يعاني الفاقة وشظف العيش ، وكان هذا المؤلف أشهر موسوعة جغرافية ضخمة ، جمع فيها كثير من المعلومات الجغرافية المعروفة في العصور الوسطى .

كانت الحضارة الإسلامية في عهد الدولة العباسية ، امتازت في عدد شعرائها وتراثهم - حتى جمع أبو الفرج الأصفهاني (٨٩٧ - ٩٦٧) في أواخر هذا العصر الكثير من أشعارهم في كتاب الأغاني الذي يتألف من عشرين مجلداً.واشتهر عند العرب الشاعر أحمد بن الحسين المشهور باسم المتنبي الذي ولد في الكوفة عام ٩١٥م وتلقى العلم في دمشق ، وأقام في بلاط أمير حلب ، وأشاد بانتصارات سيف الدولة في شعره المعروف بجمال اللغة وقوة المعنى ، وبعض شعره كان سبباً في هلاكه :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبعد ثمانية أعوام من ذلك العام ولد في معرة النعمان القريبة من حلب أبو العلاء المعري ، أشهر شعراء العربية في هذا العصر الذي فقد بصرهُ وهو في السن الرابعة على أثر إصابته بالجدري .

اعتمد العلماء العرب على معرفتهم الذاتية والمنطقية في تفسير العقل والمنطق والفلسفة ، وكان ابن سينا واحداً من أولئك العلماء الذين لم يعولوا على النقل في مصنفاتهم ، فقط كانوا يرجعون إلى المصادر للتأكد والتثبت من بعض المعلومات العلمية وهذه أمانة في التأليف ، وكان يشير إلى المصدر أو المرجع الذي استقى منهُ الموضوع .

كان ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) قد قسم العلوم إلى قسمين هما نظري وعملي . وعدّ ولا يزال من أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه .

ولد في قرية (أفشنه) الفارسية ثم انتقل به أهلهُ إلى بخارى ، ولقب بالشيخ الرئيس ، والفيلسوف ، والطبيب العالم ، ومن عظام رجال الفكر في الإسلام .

ابن رشد أو أبو بكر بن باجه الذي ولد في مدينة سرقسطة عام ١١٠٦م أو كما سمي من قبل الأوربيين (Avempace) كان ابن باجه عميق التفكير بالإنسان والعقل وقال : إن العقل البشري يتكون من جزءين : العقل المادي الذي يتصل بالجسم ويموت بموته والعقل الفعّال أو العقل الكوني غير البشري الذي يوجد في الناس كلهم ... إلخ والتفكير هو أسمى وظائف الإنسان ... كتب كتابه في الطب ولم يكتب لها الذيوع بسبب شهرته الواسعة في الفلسفة حيث كان من أكبر فلاسفة المسلمين تأثيراً بالعقول . كان ابن رشد من أشهر الأطباء في زمانه وهو الذي كان أول من شرح وظيفة شبكية العين بالإضافة إلى موسوعته الطبية المسماة «كتاب الكليات في الطب».

كتب ابن رشد في مؤلفات أرسطو الشروح المطوّلة للطلبة المتقدمين في الدروس أو خلاصة موجزة عنها ، وأفرد لكل كتاب من كتب أرسطو الكبرى نبذة أو شرحاً لها . بالإضافة إلى هذه الشروح ألفَّ كتباً في مجال المنطق ، والطبيعة ، وعلم النفس ، وما بعد الطبيعة والفقه والشريعة والفلك والنحو .

وفي عام ١١٥٠م أمر الخليفة المستنجد في بغداد بإحراق جميع كتب ابن سينا وإخوان الصفا الفلسفية التي كانت تعود إلى (اخوان الصفا) وهم جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية عاشوا في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، جمعوا معارف عصرهم من علمية وفلسفية ودينية في رسائل تزيد على الخمسين وهي أشبه ما تكون بدائرة معارف ، وتقع في أربعة أقسام هي :

قسم الرياضيات ، قسم الجسمانيات، قسم النفسانيات ، قسم الناموسيات .

كان العالم أبو حامد الغزالي هو الآخر من أعظم علماء الدين المسلمين ، الذي جمع بين الفلسفة والدين في أعظم ما كتبه وهو تهافت الفلاسفة واستعان فيه على

العقل بجميع فنون العقل بالإضافة إلى كتاب إحياء علوم الدين ، وألفَّ مائة وخمسين كتاباً .

لا يمكن أن نذكر هنا كل ما كتب ومن كتب من العلماء والأدباء والمفكرين في مجال التأليف وفي مجالات المعرفة البشرية ، ولكثرة الكتابات أصبح للتأليف في سير الأشخاص والتراجم هو الآخر لهُ علماؤه وطرائقه وهنا نشير إلى ثلاثة طرائق في مجال التراجم العامة وحدها وهي :

آ – التأليف الرأسي أو الشاقولي :

وتتضمن المؤلفات التي كتبت في التراجم لفترة زمنية تسبق فترة المؤلف مثل كتاب (وفيات الأعيان) الذي ترجم للرجال منذ العهد الجاهلي حتى عصره لابن خلكان (١٢١١ – ١٢٨٢م) . وهو مؤرخ وأديب عربي ، ولد بمدينة أربيل بالعراق ، وقضى معظم حياته في سورية ومصر . كان رئيساً لقضاة دمشق وتوفي بها . وكان بعنوان « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أنبئهُ العيان » وعدّ معجماً تاريخياً عاماً . حيث جمع فيه تراجم العلماء والملوك والأمراء والوزراء والشعراء والكتاب الذين عاشوا فترات أو عصور ما قبل المؤلف حتى القرن الذي عاش فيه وهو القرن السابع عشر . رتبت الموضوعات حسب حروف المعجم . وبترتيب منهجي هو ذكر اسم المترجم وولادته ووفاته ، والمكان . اشتمل هذا الكتاب على ٨٤٦ ترجمة للمشاهير .

ب – التأليف الأفقي :

المؤلفات التي كتبت عن التراجم هذه امتازت بذكر الأشخاص الذين عاشوا لفترة زمنية واحدة وحسب شرائح أفقية أي الشخصيات الذين هم على مستوى معين أو متفردين بعمل تخصصي مثل المهن الحرة أو الذين عاشوا في قرن واحد من الزمن ، وهي الكتب الخاصة بالطبقات والمثال كتاب الطبقات الكبرى لمؤلفه ابن سعد ، ولد بالبصرة عام ١٦٨ وتوفي عام ٢٣٠هـ ويتكون هذا الكتاب من ٩ مجلدات ويتضمن ١٥ قسماً . ويعد هذا المخطوط من كتب التراجم الأولى من العهد الإسلامي للأشخاص الذين عاصروا عهد الرسول في عدة أماكن مثل اليمن والعراق والشام ومصر ، وصنفوا على أساس موطنهم .

جـ – التأليف حسب المدن :

امتازت هذه الكتب بأنها ألفت لتراجم أشخاص عاشوا في مدينة واحدة أو بلد واحد خلال فترة زمنية معينة ، مثل كتاب (تاريخ بغداد) الذي ألفهُ الخطيب البغدادي أحمد بن علي عام ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م وتوفي عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٢م .

كتب هذا المؤلف حول مدينة بغداد وكل ما يخصها منذ عهد إنشائها حتى أيام المؤلف ، حيث تحدث عن بنائها وخططها ورجالها المعروفين وفي المقدمة الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأشراف ، والكتاب والنحاة واللغويون والمحدثون والمنطقيون ... إلخ .

تضمن هذا الكتاب على ٧٨٣١ ترجمة من سائر الطبقات واتسم بالطابع الموسوعي ، وبترتيب الألفبائي للأسماء . وكذلك المؤلف المشهور لهذه الفترة وهو (تاريخ دمشق) لأبن عساكر ، وصف فيه مدينة دمشق وسكانها وعاداتها وبناءها وخططها ومشاهيرها من الأعلام المعروفين .

هذا مما يؤكد لنا على مستوى الثقافة وازدهارها للحضارة الإسلامية ، وممن عايشوا هذه الفترة من علماءوأدباء ومترجمين اعتمدوا على معرفتهم ووعيهم الذاتي ، وترجمة الثقافات المحيطة بالمنطقة من فارسية ويونانية ورومانية .وبخاصة في مجال الفلسفة والطب والقانون وغيرها من العلوم ، ولم يتركوا ميداناً إلاّ وبحثوا به من شعر وأدب وفلك ورياضيات وصيدلة وتاريخ .

ولا يفوتنا ما (لمقدمة ابن خلدون) من أهمية تاريخية واجتماعية والذي عاش للفترة من (١٣٣٢ – ١٤٠٦م) واشتهر بفلسفته وكان مؤرخاً واجتماعياً ألفّ كتاب باسمه ثم أضاف المقدمة .

٥ – الفهرسة والتصنيف :

امتاز العرب بتقسيم العلوم والمعارف إلى مواضيع أساسية ، حتى عدوا أول من قسموا المعرفة البشرية واهتموا بفهرسة المواد بعد الشاعر والأديب كاليماخوس المشرف إدارياًعلى مكتبةالاسكندرية في العصورالقديمة،حيث عمل لها الفهارس وصنفها تحت اسم المؤلف ومكان ميلاده واسم والده وأستاذه ، وتعليمه ولقبه وترجمة عن

حياته بنبذة قصيرة . مع حاشية تشتمل على الكلمات الأولى من المصنف أو المؤلف أو حجم الكتاب المكتوب على ورق البردي .

وتدل الأبحاث والتنقيبات على أن محتويات مكتبة آشور بانيبال التي كانت مؤلفة من ألواح طينية مصنفة تحت رؤوس موضوعات ستة هي : التاريخ ، القانون ، السحر ، العقائد ، والأساطير ، وربما كانت مفهرسة في فهرس عام ومصنفة .

كما وجد في العراق فهارس أخرى مثل فهرس (مكتبة المدرسة النظامية) حيث احتوت على فهرس شامل ودقيق رآه إبن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ .

يعد فهرست ابن النديم من أقدم الفهارس وأقدم كتاب للتراجم حيث قام بتصنيف العلوم القديمة من يونانية وفارسية وهندية باللغة العربية للمؤلف المعروف بأبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ابن النديم ولد في بغداد وتوفى سنة ٣٨٥هـ / ٩٦٥م . احتوى هذا الكتاب على عشر مقالات صنفت الشخصيات وأعمالهم موضوعياً وهي كما يلي :

١ - المقالة الأولى وهي ثلاثة فنون : الأول في وصف لغات العالم العربي والعجم .. الثاني في أسماء كتب الشرائع .. والثالث في نعت الكتاب الذي لا يأتيه باطل .

٢ - المقالة الثانية : وهي ثلاثة فنون في النحويين واللغويين .

٣ - المقالة الثالثة : وهي ثلاثة فنون في الأخبار والآداب والسير والأنساب .

٤ - المقالة الرابعة : وهي ذات فنين في الشعر والشعراء .

٥ - المقالة الخامسة : وهي خمسة فنون في الكلام والمتكلمين .

٦ - المقالة السادسة : وهي ثمانية فنون في الفقه والفقهاء والمحدثين .

٧ - المقالة السابعة : وهي ثلاثة فنون في الأسماء والخرافات والسحر والشعوذة.

٨ - المقالة التاسعة : وهي فنان في المذاهب والاعتقادات .

٩ - المقالة العاشرة : وهي خاصة بأخبار الكيميائيين والصفويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم .

وامتاز العلماء العرب أمثال الكندي (٨٠١ - ٨٦٥م) بتصنيفهُ للعلوم بما لا يختلف عن تصنيف المعرفة عند أرسطو ، وقسم العلوم إلى قسمين وهي دينية وفلسفية.

وهو تصنيف نظري موضوعي للمعارف . وسار على هداهُ العالم الخوارزمي والفارابي الذي سميّ بالمعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول وعاش للفترة مسن (٨٥٠ - ٩٥٨م) وذلك لأنهُ جمع كل ما يخص من تأليفات لأرسطو وشرحها . ويعد تصنيفه من أقدم التصانيف العربية وذكرها في كتابه « إحصاء العلوم » وقسمها إلى ستة أقسام رئيسة وكل قسم إلى أجزاء وكل جزء إلى مراتب وهي :

١ -- علوم اللسان وفروع اللغة .

٢ -- المنطق وعلوم .

٣ - الرياضيات .

٤ - العلوم الطبيعية .

٥ - العلوم المدنية .

٦ -- ما وراء الطبيعة .

العوامل التي أدت إلى ازدهار الثقافة في الحضارة الإسلامية :

الحضارة العربية في الامبراطورية الإسلامية كان لها الأساس والمناخ المناسب الذي ترعرعت فيه ، هو حصيلة لمجموعة من العوامل وكثير من الأسباب اجتمعت معاً لتكوّن النواة الأولى لنشوء الكتب والمكتبات التي هي الأخرى أثرت به فكان نتيجتها التقدم والتطور والازدهار للمجتمع هنا تأتي مقولة « إن الوجود الاجتماعي ينتج الأفكار والآراء والنظريات والحصيلة هو الوعي الإنساني الذي يعود بالآخر إلى تحسين الظروف ومزيداً من الاكتشافات والإبداعات الخلاقة للبشرية جمعاء .

كانت هناك عوامل عديدة أثرت في تطور المجتمع الفكري والثقافي والاجتماعي والعلمي يمكن حصرها في ناحيتين أساسيتين هما :

آ - **الجانب الداخلي** : وهي العلوم الإسلامية واللغة والأدب والشعر والفلسفة وظهور العلماء والأدباء العرب المبدعين في اختصاصات فكرية وعملية .

ب - **الجانب الخارجي** : وهي ثقافة الأمم الأخرى والفلسفات المحيطة بالعرب آنذاك وكانت السباقة في مجالات عديدة من المعرفة الاجتماعية والتاريخية مثل الثقافة الفارسية والرومانية واليونانية .

كانت بغداد المركز الرئيسي والأهم للحضارة الإسلامية بالإضافة إلى المدن الأخرى .

العوامل الأساسية هي :

١ – تشجيع الحكام والخلفاء والملوك للإبداع في التأليف والترجمة والتدوين ، ويعود ذلك إلى اهتمامهم بالعلوم والأدب والمعرفة والبحث الذاتي والعمل ومن أجل ذلك تم استدعاء العلماء من خارج بلدانهم وجلب المخطوطات الثمينة ليتم استنساخها بعد وترجمتها ودراسة المؤلفات القيمة في عدة اختصاصات بلغات غير العربية مثل كتب أرسطو وأفلاطون هذا في مجال الفلسفة كما هو الحال في العلوم الأخرى مثل الأدب الفارسي والمكتبات في زمن انوكسروان .

وأشهر هؤلاء الخلفاء الخليفة هارون الرشيد (٧٦٦ – ٨٠٩م) الذي جمع المؤلفين وأغدق على المترجمين وفتح أبواب ديوانه ومكتبه للعامة من الناس كان يحب العلم والأدب وشجع على جمع الكتب النفيسة من سائر أرجاء العالم لجلبها إلى بغداد. وأنعش الترجمة وأعطى ما يقابلها الذهب .

كذلك هو الحال عند ابنه الخليفة المأمون الذي حكم من (٨١٣ – ٨٣٣م) الذي أسس الأكاديمية المعروفة (بيت الحكم) واهتم بتعريب الكتب التي جابت أثناء الفتوحات واستنساخها بعدة نسخ .

٢ – اكتشاف الورق :

العامل الأهم والذي عد الوسيلة والأداة التي بواسطته تزدهر الإنتاجات الثقافية والفكرية والأدبية وتأسيس المعامل الأولى في مصر وبغداد ودمشق ، كان أول مصنع في مصر سنة (٨٠٠م) وفي بغداد سنة (٨٧٠م) وأول مصنع في الأندلس كان سنة (٩٥٠م) .

وتكونت طبقة خاصة لشراء وبيع وتجارة الورق عند العرب وسموا بطبقة الوراقين كان الجاحظ أشهر من عملوا بها .

كان ذلك الاكتشاف وفق الحاجة الضرورية والتي كانت تتناسب والتطور الحاصل للمجتمع في العصر الإسلامي وتطور الوعي والثقافة من الجانب الثاني كان

أول من استعملهُ في الوقت ذاته كانت أوروبا تعيش ظلمة من تدهور الأوضاع ولم يعرفوا الورق إلاّ بعد فترة من الزمن .

٣ – الثقافات المحيطة :

العامل الثالث هو تأثر العرب القدامى بالثقافات التي كانت تحيط بالجزيرة العربية ، من خلال الفتوحات والاتساع للدولة الإسلامية على أثر الغزوات كانت محاطة بعدة دول مجاورة مثل بلاد فارس والثقافة الفارسية ، وبلاد الروم والثقافة الرومانية ، واليونان والثقافة اليونانية التي سبقت الثقافة العربية بمرحلة متقدمة من الازدهار في مجالات عديدة وهي الفلسفة والأدب والعلوم والتاريخ وبخاصة تنظيم المكتبات كما هو الحال في بلاد فارس بالإضافة إلى التراث اليوناني الذي كان يواجه ظروفاً صعبة وبطبيعة الحال لجأ كثير من الشعراء والعلماء إلى بلاد فارس التي كانت لهم الملجأ الأمين عند مغادرتهم أثينا بعد أن أمر الامبراطور (بوستينيان) بإغلاق الأكاديمية سنة (٥٢٩م) وأغلبهم فلاسفة الأفلاطونية الجديدة ومكتباتهم الزاخرة بالفلسفة والعلوم الأخرى .

٤ – الترجمة :

كانت العامل الرابع في ازدهار الكتب والثقافة والعلوم العربية وكانت في زمن الأمير خالد بن يزيد الذي كان أول من شجع على الترجمة وجلب الكتب ونقلها من اللغات المحيطة وهي الفارسية والرومانية واليونانية والاغريقية إلى العربية وبالعكس . ومن ثم في زمن الخليفة المأمون حتى القرن الثالث الهجري وأصبح النقل من اللغات الآخرى عملاً رسمياً تتولاهُ الدولة وينفق عليه من الميزانية العامة . كان نتاج الترجمة هو إغناء المكتبة العربية وازدهار الثقافة ونمو التأليفات للعلماء العرب والأدباء وازدياد حركة البيع والشراء في تجارة الورق ، والكتب ونشوء المكتبات بأنواعها .

٥ – التأليف :

العامل الخامس هو تأليف الكتب الذي بدأ منذ عهد الصحابة والتابعين ، وكما ذكر كتاب كشف الظنون أن أول من صنف أو ألفَّ بالعراق هو أبو نصر سعيد بن أبي عروبة المتوفى سنة ١٥٦هـ . وأشهر من كتبوا في البلاغة والأدب عبد الحميد

الكاتب ، وعبد الله بن المقفع الذي نقل إلى العربية كتاب كليلة ودمنة وألفّ الكثير من الكتب منها الأدب الصغير والأدب الكبير . وزخر العالم الإسلامي في هذه الفترة بالمؤلفين الذين خطوا مؤلفاتهم بأيديهم ، ونسخوا الكثير من الكتب المؤلفة من سموا بالنساخ ، كان التأليف قد شمل جميع نواحي المعرفة والعلوم الأدبية والفلسفية والتاريخية العرب الذين أغنوا المكتبة العربية بعشرات ومئات الكتب القيمة ، وخير مثال على ذلك العلامة والأديب الجاحظ الذي كانت نهاية حياته هو سقوط مكتبته عليه .

أهم الملامح للمكتبات في العصر العباسي :

اتصفت المكتبات التي ازدهرت وذاع صيتها في المشرق والمغرب ، حسب المناخ المناسب والأرضية الخصبة التي وجدت في حضارة العرب للفترة التي حكم فيها العباسيون ، والمجتمع المترف ثقافياً وأدبياً وعلمياً . كان الانعكاس الواقعي هو تعدد المكتبات من مكتبات دولة إلى مكتبات عامة ، ومكتبات خاصة ، ومكتبات أكاديمية ، ومكتبات متخصصة (المشافي) . والأهم من ذلك كان للمكتبات العامة ميزات اختصت بها من تنظيم وإدارة ومبانٍ وهي :

١ - إدارة المكتبات من قبل مشرف أو خازن .

٢ - مالية المكتبات .

٣ - الإعارة بأنواعها .

٤ - النسخ والترجمة .

٥ - الفهرسة والتصنيف .

١ - إدارة المكتبات من قبل مشرف أو أمين مكتبة :

كان للمكتبات مشرف إداري أو أمين مكتبة وهو أعلى مرتبة من بقية العاملين ومسؤول عنهم وعن محتويات المكتبة والعاملون كانوا من المعروفين اجتماعياً بأخلاقهم الحميدة وثقافتهم وأمانتهم . وقد اختلف نظام الإدارة من مكتبة إلى أخرى ، والعدد المطلوب من العاملين وذلك حسب محتوياتها ، وبنائها ، وماليتها .

فالمكتبات الكبرى كان لها إدارة خاصة تتكون من ثلاثة أشخاص وهم : المشرف الأعلى ويسمى الوكيل أو أمين المكتبة ويسمى الخازن ، ومساعد يسمى

المشرف . فالمكتبة المستنصرية تولى الإشراف عليها ثلاثة أشخاص هم الأول خازن ، والثاني مشرف والثالث مناول أما المكتبات الأصغر والأقل أهمية فكان يقوم بالإشراف عليها إثنان أمين المكتبة والثاني مساعد . وأشرف على المكتبات الصغيرة شخص واحد . كان لأمين المكتبة واجبات يمكن اختصارها وهي :

١ – المهمة الإدارية . ٢ – المهمة الثقافية . ٣ – المهمة الفنية .

٢ – مالية المكتبات :

تعدُ مصدر ميزانية المكتبات بأنواعها وهي إما أن تكون معتمدة من قبل الخلفاء أنفسهم ، أو من مالية الدولة ، أو تبرعات من الوزراء والأمراء المعروفين .

أما رواتب العاملين فكانت تدفع نقداً مع بعض المساعدات الغذائية ، لمساعدة العاملين على معيشتهم اليومية . أما الرواتب فكانت على قدر عال إذا ما قيست برواتب الموظفين (مثال) :

راتب الخازن	٤٨ ديناراً
راتب الفراشين	١٥ ديناراً
راتب المشرف على الحبر والورق	١٢ ديناراً
أجرة لإصلاح الكتب	١٢ ديناراً
ثمن الماء	١٢ ديناراً

هذا مثال بسيط على مبالغ صرفت في دار الحكمة .

كذلك عندما سجل لمرتبات موظفي خزانة كتب المدرسة المستنصرية للخليفة المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣٢هـ وهي وفق شروط كما يلي :

١ – أن يكون في المكتبة الملحقة بالمدرسة خازن يشرف عليها وأن يكون لهُ كل يوم ١٠ أرطال خبزاً و ٤ أرطال لحماً بحوائجها وخضرها وحطبها .

٢ – أن يكون فيها مشرف على الخازن وتكون أجرته كالتالي :

له كل يوم ٥ أرطال خبز وثلاثة دنانير شهرياً .

٣ – أن يكون فيها مناول للكتب وتكون أجرته كالتالي :

له كل يوم ٤ أرطال خبز وطبيخاً ودينارات شهرياً .

٣ – الإعـارة :

امتازت المكتبات العامة في العصر العباسي بأنها كانت تفتح أبوابها لجميع القراء وبدون تمييز ، ومجاناً أي بدون دفع أي مقابل مادي . بالإضافة إلى أنها كانت تزود القراء بالورق والحبر والأقلام وتوفر الجو المناسب من أثاث ونظافة وتزيين للأركان في بعض المكتبات الكبيرة .

امتازت الإعارة بمواصفات وقيم عود عليها الأفراد والمجتمع وذلك من خلال التربية الاجتماعية والتعليمية على حسن الأخلاق والأمانة وهي :

١ – عدم تأخير الكتاب لمدة طويلة من أجل عدم حرمان الآخرين منهُ .

٢ – عدم الإعارة خارج المكتبة ، كما حدث في مكتبة نيسابور (دار الحكمة).

٣ – يلزم المستعير بضمان رمزي لقاء الاستعارة ، ما عدا بعض الشخصيات المعروفة والعلماء والأدباء .

٤ – تحديد موعد إرجاع الكتاب .

٥ – الالتزام بنظافة الكتاب والحفاظ عليه من التلف أو عدم الكتابة عليه وكان يجري الالتزام بنظام الإعارة الداخلية أو الخارجية أو الجمع بينهما . كما كان لها جانبان السلبي منهُ وهو تعرض الكتب للسرقةوالضياع رغم كل الشروط السابقة ، أما الجانب الإيجابي ، وهو جراء الإعارة حفظت هذه الكتب من السرقة والحرائق والتدمير التي نالت المكتبات .

٤ – النسخ والترجمة :

وكما ذكرنا في مقدمة هذا الفصل كيف كان للنسخ من أهمية وهو نقل المؤلفات وترجمتها من اللغات الأخرى مثل اليونانية والفارسية والرومانية إلى العربية وجد في المكتبات قاعات خاصة للنسخ والتدوين والترجمة كما كان في بيت الحكمة في بغداد والمكتبة المستنصرية وغيرها ، حيث اعتمد عليهم في نسخ الكتب النادرة أو

المخطوطات التي وردت إلى المكتبة أو غيرها من المؤلفات الجديدة والتي امتازت بغلاء أثمانها وندرتها في بعض الأحيان مثل الكتب الفلسفية لأرسطو أو أفلاطون أو الكتب الفارسية من أشعار وأدب . مما أتاح للعرب الاطلاع على الثقافات الأخرى .

٥ – الفهرسة والتصنيف :

اتصفت المكتبات عند العرب القدامى بترتيبها وتنظيمها وشموليتها لجميع الأركان الأساسية وتخصيص القاعات الخاصة بالمجاميع مثل حجرة خاصة للكتب الدينية، وحجرة خاصة للكتب الأدبية ، وحجرة خاصة للكتب الفلسفية ، كذلك الحال كان مع المجاميع اللغوية ، بالإضافة إلى مجموعة الرياضيات ، أو كتب الطب .. إلخ.

وكان التصنيف موضوعياً مع عمل لوائح بالموجودات سميت الفهارس كانت تعلق كل قائمة على الحجرة الموجودة فيها الكتب المذكورة . بالإضافة إلى أن العلماء العرب المشهورين قد صنفوا المعرفة البشرية وعلومها إلى أقسام أكثر تفصيلاً مثل الخوارزمي وابن خلدون والكندي والفارابي .

أما الفهرسة فكانت هي الأخرى مستعملة عند العرب منذ العصور القديمة والمثال هو مكتبة الاسكندرية وكيف فهرس $\frac{1}{5}$ محتوياتها العالم والشاعر كاليماخوس في ١٢٠ مجلداً . وذكر اسم المؤلف ومكان ميلاده ، واسم والده وأساتذته وترجمة عن حياته نبذة قصيرة وعناوين أعماله .

كذلك وجدت فهارس أخرى في العراق وهي لمكتبة المدرسة المستنصرية حيث احتوت على فهرس شامل ودقيق رآه ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ أما أشهر الفهارس التي وجدت في العصر الإسلامي فهو فهرست ابن النديم ، أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ولد في بغداد وتوفى سنة ٣٨٥هـ / ٩٦٥م . ألفَ الفهرست الذي احتوى على عشر مقالات كل واحد منها بمجموعة من الصناعات الأدبية والفنية والعلمية .

٦ – أبنية المكتبات :

كانت الأبنية جانباً من الجوانب التي تطورت مع تطور المجتمع المحيط بها وأهدافه من المكتبات ، بعد أن كانت حجرة ملحقة بالجوامع أو المساجد ، استقلت بعض المكتبات بأبنية خاصة لها أو كانت ملحقة ببناء خارجي للقصور وفتحت أبوابها

للعامة . اعتني بأثاثها من فرش وسجاد لجعلها صالحة للجلوس . وتذكر بعض المصادر أن العرب قد اعتنوا حتى في جوانب المكتبة الفنية والجمالية مثل اختيار الديكور المناسب ، ووضع الستائر وتجميل الأركان بالزهور والنباتات وتوفير الإضاءة مع تدفئة المكان شتاءً .

احتوت على ثلاث حجرات أساسية : الكبرى لحفظ المخطوطات وعرضها للقراء والمطالعة فيها ، والثانية لأعمال النسخ والتجليد ، والثالثة تستعمل كمخازن للمكتبة .

قسمت القاعات كذلك كل واحدة لموضوع معين وحسب اللغات أيضاً كل قسم له مشرف عليه ، يشرف عليهم موظف أو أمين للمكتبة أعلى إدارياً ، كما هو الحال في تنظيم بيت الحكمة إدارياً .

أنواع المكتبات :

تعددت المكتبات عند العرب في تسميتها وذلك حسب نوعيتها من جانب وأماكنها المتعددة من الجانب الثاني ، في الأول كانت تمتاز الواحدة عن الأخرى بالمحتويات والإدارة والمشرفين وعلاقتها بالدولة والخلافة ، فمنها ما كان خاصاً ومنها ما كان تابعاً للخلفاء أو مكتبات ملحقة بالمساجد ، ومكتبات المدارس ، ومكتبات عامة بالإضافة إلى مكتبات متخصصة وأكاديمية .

أطلق العرب على هذه المكتبات أسماء عديدة ، منها دار الكتب أو بيت الحكمة، أو دار العلم ، أو خزانة الكتب ، وكانت ملحقة إما بقصر الخلافة ، أو بمسجد أو جامع ، ومكتبات خاصة بالوزراء والشخصيات المعروفة . ومكتبات عامة ما كان روادها عامة الشعب من طلبة وباحثين وعلماء وأدباء أو شعراء كان يهمهم الوصول إلى المعرفة العميقة والتوسع في البحث الذي كان سائداً منذ العصر الإسلامي عند العرب .

كان المناخ الثقافي والعلمي والنتاجات الأدبية وتنوع الموضوعات ، والعوامل الموجودة مثل اكتشاف الورق والترجمة والنسخ والتأليف هي لظروف الموضوعية والمجتمع الذي كان على وعي متقدم في الأفكار والاستنتاجات المعرفية والثقافات

المتنوعة والاستقصاء والظروف الذاتية وكلاهما : المجتمع والظروف الذاتية هو مفهوم الوجود المادي والوعي ، الذي أدى بالثقافة وازدهارها إلى ما كانت عليه في العصر الذهبي .

كانت أنواع المكتبات عديدة وهي كما يلي :

١ - المكتبات العامة .

٢ - المكتبات الخاصة .

٣ - المكتبات الخلافية .

٤ - المكتبات المدرسية .

٥ - المكتبات المتخصصة .

٦ - مكتبات الدولة .

١ - المكتبات العامة :

كانت هذه المكتبات تمتاز بأنها مؤسسة ثقافية عامة لجميع أفراد المجتمع ، التي ازداد عددها في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع حتى بلغ عشر خزن بعضها ملحق بالمساجد وبعضها الآخر في أبنية خاصة مستقلة ، كان لها نظامها الإداري والثقافي وهي أن المطالعة فيها حرة والإعارة الخارجية فيها تكون دون مقابل .

وكانت المكتبات العامة الكبيرة تفتح أبوابها للجميع ولها مشرفوها الذين كانوا لهم مهماتهم التنظيمية للمجموعات والإدارية والفنية وهي التجليد والترجمة والنسخ وحفظ ممتلكات المكتبة من السرقة والنهب .

تنوعت محتوياتها وهي كتب الأحاديث النبوية وأهم من ذلك القرآن الكريم . كانت يحفظ من أجل القراءة والدرس في آن واحد ، لأن التعليم آنذاك كان في المساجد . بالإضافة إلى ذلك توافر كتب الفلسفة والتنجيم والأشعار . ومن أشهر هذه المساجد جامع بني أمية في الشام ، وجوامع مكة ، والجامع الأزهر في القاهرة وجامع المنصور في بغداد . كانت الحلقات الدراسية في هذه الجوامع هي المسألة الأساسية حينذاك .

اتصفت المكتبات العامة بـالتنظيم والإدارة والموظفين أو المشرفين الذين كانوا يقومون بالإشراف على الإدارة ويجب توافر الشروط الخاصة بهذه المهمة وهي أن يكون معروفاً اجتماعياً وذا ثقافة واسعة ويتصف بالأخلاق والأمانة والصدق ، وقد اختلفت الإدارة فنظامها من مكتبة إلى أخرى والعدد المطلوب وذلك حسب كبر المكتبة وحاجتها إلى عدد من المشرفين والخازنين . كانت هذه المسؤوليات تتداخل وذلك حسب الوظيفة والأشخاص وما يتصفون به من قوة الشخصية والذكاء وحسن التصرف فالمكتبات الكبرى كان لها إدارة خاصة تتكون من ثلاثة أشخاص وهم : المشرف الأعلى أو أمين المكتبة ومساعد يسمى المشرف بالإضافة إلى الحارس والمناول.

ومن أشهر هذه الشخصيات التي عملت في إدارة المكتبات العامة هو ابن القوطي المؤرخ المشهور .

كانت من أبرز مهمات أمين المكتبة المهمة الثقافية وهي مساعدة الباحثين والقراء على توفير الكتب والإجابة عن أسئلتهم ولذا كان من شروط المسؤول عن الجانب الثقافي هو أن يكون من ذوي الاطلاع ومعرفة الكتب والعلوم وما يدور في المجتمع من أحداث وتطورات التي تدور فيه ، وأن يكون ذا مكانة أدبية ولهُ مؤلفات وأبحاث ، مما جعل مستوى المكتبات في ذلك العصر يتطور في مجالات عديدة .

المكتبات العامة في العراق :

١ – مكتبة بيت الحكمة :

تعد دار الحكمة من أكبر المراكز الثقافية في بغداد ومدرسة دينية خاصة ومرصداً فلكياً ، بالإضافة إلى أنها أول بيت للحكمة أو مكتبة عامة في عصر الدولة العباسية وأعظمها شأناً ، لما كانت تحتويه من الكتب النفيسة في جميع فروع العلم والمعرفة في وبمختلف اللغات . كان ذلك في بداية حكم أبي جعفر المنصور (١٣٥ – ١٥٨هـ / ٧٥٢ – ٧٧٤م) ، أي الفترة التي تميزت بالترجمة والنسخ والتأليف في عدة مجالات منها : الأدب والعلوم والتاريخ والفلك والطب والفلسفة . ومن الأسباب التي جعلت بيت الحكمة بهذه الأهمية هو اهتمام المنصور بها وبخاصة في زيادة محتوياتها بجلب الكتب من بلدان أخرى ونقل المؤلفات القيمة من لغات أخرى إلى العربية . فأوصى بها ابنهُ المهدي الذي كان قليل الاهتمام بالكتب والعلوم .

ولما جاء هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م) ازدهرت البلاد في عصره بالحضارة والثقافة والأدب وأخذ يكثر من شراء الكتب كما أخذ بتشجيع الأبحاث . حتى كانت الاتفاقيات بينه وبين الملوك والأمراء والدول تتضمن الشروط الخاصة بالكتب ، حتى مجيء المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) الذي عرف بغزارة علمه وسعة تفكيره وتشجيعه للمعتزلة وهي الفرقة التي حاولت تفسير المسائل الدينية بطريقة فلسفية . أصبحت هذه المكتبة ملتقى العلماء والأدباء والباحثين والمترجمين وأشهرهم حنين بن اسحق الذي عمل بصفة مراقب لنقل الكتب من اللغات الأخرى وبخاصة اليونانية إلى العربية وأهمها الكتب الفلسفية والسياسية ككتب أرسطو وغيره .

بناؤها :

كانت تحتوي بصورة عامة على ثلاث حجرات ، الكبرى لحفظ المخطوطات وعرضها بخزانات خاصة ومقفلة ، وللمطالعة في آن واحد . الثانية لأعمال النسخ والتجليد والترجمة والتدوين . والثالثة استعملت كمخازن للمحتويات .

أما تنظيم وتصنيف المكتبة فكان بالدرجة الأولى موضوعياً ولغوياً ثانياً فقد خصصت لكل موضوع قسم خاص به أو ركن ثم حسب اللغات فكان قسم للغة الفارسية ، وقسم للكتب السريانية ، وقسم للغة اليونانية ... إلخ . وكان كل قسم من هذه الأقسام تحت مشرف وعلاقته إدارياً بشخص مسؤول عنهم وأعلى منهم مرتبة . لذا تعدد مسؤولو هذه المكتبة وهم على الشكل التالي :

١ - القيم أو المكتبي . ٢ - المشرف . ٣ - المناول .

أشهر رواد هذه المكتبة الشاعر أبو العلاء المعري المتوفى سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م). استمرت هذه المكتبة حتى أواخر العهد العباسي ، ودمرت عندما احتل هولاكو بغداد سنة ٦٥٦ هـ .

ومن المكتبات العامة المهمة في بغداد كانت دار العلم (أو خزانة سابور) أسسها أبو نصر سابور بن اردشير المتوفى سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م حيث اشترى داراً بالكرخ وبين السورين وسماها (دار العلم) كما وردت في رسائل أبو العلاء المعري ، وقد بلغ عدد كتبها ١٠٤٠٠ مجلد من أنفس الكتب والمخطوطات بمجالات العلوم كافة فيها

عدد كبير من الكتب التي كتبت بخطوط أصحابها منها مائة مصحف بخط بني مقلة . وأصبحت مزاراً لجميع الأدباء والعلماء من جميع ضروب الأرض ، وذلك لازدهار وارتفاع صيتها . حتى أن المؤلفين كانوا يسرون عندما تقبل مؤلفاتهم كهدية وحسب ما نسميه بالإيداع كانوا يسمونه التخليد . أشرف على إدارة هذه المكتبة آنذاك الشريف المرتضي والخازن أبو المنصور ، وعبد السلام البصري .

كان أشهر من قصدها الشاعر أبو العلاء المعري أثناء زيارته بصورة خاصة لهذه الدار للتعرف على محتوياتها واللقاء بالعلماء والأدباء الذين كانوا يرتادونها . وقد أقام في بغداد سنة ونيف يتردد فيها على هذه المكتبة . وكانت نهايتها في سنة ٤٥١هـ على أثر احتراق منطقة ما بين محلة الكرخ وبين السورين .

كان بناؤها واسعاً وضخماً ، لذلك ضمت قاعات ، خصصت كل قاعة للتعليم أو للقراءة أو حلقات دراسية ، وغرف استنساخ وتجليد وتذهيب وترجمة .

٢ – دار العلم في طرابلس :

أسست هذه المكتبة في نهاية القرن العاشر الميلادي وسميت في بعض الأحيان بدار الحكمة وأحيانا مكتبة عمار لأنها في الواقع تعود لأسرة آل عمار التي حكمت طرابلس الشام ، وأول من عمل في إداراتها أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار سنة (٤٢٤هـ – ٤٦٤هـ / ١٠٣١ – ١٠٧١م) حيث كان حاكماً وقاضياً في آن واحد. واستمر ابن عمار على ولائه للفاطميين (الذين اخضعوا طرابلس لحكمهم) ، واتخذوا من هذه المدينة مركزاً لنشر مذهب الفاطميين . تأسست هذه الدار عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م تولى إدارة هذه المكتبة ثلاثة مسؤولين قاموا بالإشراف على محتوياتها وإعارتها .

محتوياتها :

ضمت هذه الدار على مجاميع كثيرة ومتعددة في الآداب والعلوم والفلسفة والطب والفلك والتاريخ . احتوت عند تأسيسها ما يقارب ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف كتاب ، ويقال إنها بلغت ٣ ملايين مجلد ، ثم ازدهرت بعد نسخ العديد من المؤلفات

والترجمة وتكرار النسخ جراء الشراء والهدايا حتى أصبح مجموعها يناهز ثلاثة ملايين كتاب منها ٥٠٫٠٠٠ من القرآن ، و ٨٠٠٠٠ ثمانون ألف نسخة من التفاسير .

امتازت مخطوطاتها بالتجليد الجيد والمذهب بالإضافة إلى الزخرفة ، مع وجود نسخ بأقلام مؤلفيها ، مما شجع على الكتابة والاستنساخ في ذلك الوقت .

موظفوها :

كان للدار مشرفون ومناولون وخازنون وآخرون .. لما احتوت عليه المكتبة من مجاميع عمل فيها الطلبة وبخاصة في مجال العناية بفرشها وأثاثها وإعارة الكتب وتوفير ورق الكتاب والأقلام ومساعدة المشرفين على إنجاز مهمات المكتبة وترتيبها .

بالإضافة إلى النساخ حيث يذكر أن عددهم كان مائة وثمانين ناسخاً يتناوبون ليلاً نهاراً . نهاية هذه المكتبة هو احراقها من قبل الصليبيين لجميع محتوياتها وبنايتها وأرضها عندما احتلوا طرابلس سنة ١٠٠٩م / ٥٠٢هـ . نتيجة التعصب والجهل الصليبي ، وذلك يقال إنها احرقت على أثر دخول أحد القساوسة إلى المكتبة إلى قسم المصاحف التقط أول كتاب وفتحهُ فإذا هو قرآن كريم فرماه والثاني كذلك والثالث حتى بلغ عشرين قرآناً فتصور محتويات المكتبة جميعها مصاحف فثارت ثائرته وأمر بإحراقها .

مكتبة دار الحكم في مصر :

أسست هذه المكتبة سنة ٣٩٥هـ في القاهرة ، لتنافس بيت الحكم المشهور في بغداد ، أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فزين بناءها وفرش أرضها ، وعلق الستائر على أبوابها وزودها بكل ما يلزم للباحث من ورق ومحابر وأقلام ، وأقام فيها، مجموعة من القراء والفقهاء والمنجمين ومعهم من الخدم من أجل خدمة الناس والعلم والقراءة أو النسخ ، بقيت هذه المكتبة حتى عهد صلاح الدين .

أشهر من تولى إدارة هذه المكتبة أبو نصر المعروف بالشيرازي (٤٢٧ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) وبلغت مؤلفاته ثمانية مجلدات كبيرة ، تناول فيها الموضوعات الخاصة لتأييد المذهب الاسماعيلي الفاطمي من علوم دينية وسياسية وأدبية .

اتخذ الفاطميون هذه الدار مركزاً لنشر المذهب الفاطمي في شمال أفريقية ، والذين كانوا على خلاف مع العباسيين في تلك الفترة . كان الفاطميين يشجعون البحث العلمي والأدب والفنون . وقد جمعت في هذه المكتبة من مخطوطات وكتب ثمينة في الرياضيات ٦٥٠٠ مخطوط في الفلسفة . أما باقي العلوم بلغ محتويات المكتبة ٦٠٠,٠٠٠ ستمائة ألف مجلد .

أجمع بعض المؤرخين على أن عدد خزائن الكتب في هذه المكتبة بلغ ٤٠ أربعين خزانة موزعة على ١٨ ثماني عشرة قاعة للبحث والمطالعة ومقسمة حسب المواضيع .

استمرت هذه الدار تقوم بعملها التثقيفي والتبشيري حتى سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٨م ، حيث سلبت وسرقت من قبل الأتراك الذين فرقوها وحملوها إلى الاسكندرية .

مكتبة بيت الحكمة في الشام :

أنشأها الخليفة معاوية بن أبي سفيان في قصر الخضراء في دمشق ، وتطورت في عهد الملك بن مروان والوليد بن عبد العزيز اللذين اهتما بها شديد الاهتمام لحبهما العلم والأدب وقد تم جمع المخطوطات والكتب النادرة من أجل زيادة ومحتوياتها . وقد أشرف عليها بعض الشخصيات الاجتماعية المعروفة .

٢ – المكتبات الخاصة :

انتشر هذا النوع من الخزائن والمكتبات نتيجة الحالة الثقافية للمجتمع بصورة عامة ، ولزيادة حب الاطلاع والسعي وراء الحقيقة والمعرفة والمزيد من البحث والدراسة ، بحيث فاق بقية الأنواع من المكتبات . وذلك لأنه عد من يملك الكتب أعلى مرتبة اجتماعية وفكرية وثقافية ، فأصبح لدى الوزراء والعلماء والأدباء والحكام والباحثين الذين حرصوا على امتلاك مثل هذه المجموعات الخاصة التي امتازت بأن أموالها تعتمد على الأموال الخاصة لدى هؤلاء الأفراد .

من هذه المكتبات الخاصة في سوريا ومصر والأندلس هي :

١ – مكتبة الوزير جمال الدين القفطي المتوفى سنة (٦٤٦هـ) ، كانت محتوياتها زاخرة بالمخطوطات القيمة والنادرة ، بحيث قدرت بمبلغ يزيد على ٥٠,٠٠٠ خمسين ألف دينار ثم أوصى بها للناصر صاحب حلب .

٢ – مكتبة الصاحب أمين الدولة وزير الملك الصالح اسماعيل الأيوبي من دمشق المتوفى سنة (٦٣٨هـ) ، جمع محتوياتها من كل شرق وغرب بأثمان غالية ، كانت ذات نوعية نادرة تضمنت جميع العلوم من دينية وفلسفية وتاريخية وأدبية .

٣ – مكتبة يعقوب بن كلس الذي كان وزيراً للعزيز بالله الفاطمي كانت له خزانة مليئة بالمواضيع القيمة ، واتسمت بندرة مخطوطاتها ، كان بن كلس قد جعل من مكتبته مكاناً للنقاشات بين العلماء والأدباء الذين يتبادلون المناظرات والأحاديث ويشكلون المصاحف .

٤ – مكتبة الطبيب القيرواني ابن الجزار في قرطبة . كانت محتويات هذه المكتبة أغلبها من جلد الغزال (وهو أحسن الجلود) والتي كتبها بنفسه ، بلغ محتوياتها عند وفاته (٢٥٠) طناً .

أما في العراق فكان عدد المكتبات الخاصة لا يحصى ولا يمكن ذكر جميع هذه الخزائن والتي كان يملكها الخلفاء والأمراء والأدباء والعلماء .

وإنما يمكن تعداد وتسمية هذه المكتبات ثم ذكر أشهرها وهي :

١ – خزانة ابن الجوزي .
٢ – خزانة ابن دريد .
٣ – خزانة ابن النديم .
٤ – خزانة اسحق بن ابراهيم الموصلي .
٥ – خزانة اسماعيل بن اسحق الأزدي .
٦ – خزانة الأصمعي .
٧ – خزانة الجاحظ .
٨ – خزانة حنين بن اسحق .
٩ – خزانة الشريف الرضي .
١٠ – خزانة الشريف المرتضي .
١١ – خزانة علي بن يحيى المنجم .
١٢ – خزانة الفتح بن خاقان .

١٣ - خزانة الكندي .

١٤ - خزانة الواقدي .

١ - خزانة الكندي :

وهو يعقوب بن اسحق الكندي توفي سنة ٢٤٦هـ - ٨٦٠م ، ولد في بغداد ويعد الكندي فيلسوف العرب وغني عن التعريف مما لهُ من شهرة خاصة وما له من كتب ومؤلفات في الفلسفة والعلوم ، وقد خلف من إنتاجه الفكري (٢٦٥) مقالة وبحثاً في علوم الحساب والهندسة والنجوم والفلك والأنواء والجغرافية والطبيعة والسياسة والموسيقى والطب . وكان الكندي ميالاً إلى مذهب الاعتزال أو (المعتزلة).

اشتهرت خزانته بالكتب النفيسة وجمع واستنسخ لها الكثير من المؤلفات وذاعت شهرته في الكتب والمخطوطات . ونتيجة لذلك أثار حقد الحاسدين والجهلة ودبروا له مكيدة فذهبوا إلى كتبه وأفردوها في خزانة سميت « بالكندية » ولكن الكندي استرد خزانته فيما بعد .

٢ - خزانة الجاحظ :

وهو الأديب والكاتب لمؤلفات مشهورة وعديدة (١٥٩ - ٢٥٥هـ / ٧٧٥ - ٨٦٨م) عاش في فترة المأمون وكتب في مواضيع عديدة أهمها : الفلسفة والعلوم والاقتصاد ، وعلم الحيوان ، والرياضيات بالإضافة إلى المؤلفات الكثيرة والأدبية بصورة خاصة مثل البيان والتبيين والبخلاء ، واتصف بحبه للقراءة وكان أيضاً وراقاً ، كان يقضي معظم أوقاته في دكاكين الوراقين ، وجمع الكتب القيمة وكثرت الكتب في مكتبته التي وصلت إلى السقف وتذكر المصادر أن هذه الخزانة قد وقعت عليه وهو مريض فقتلتهُ أي توفي على أثر ذلك .

٣ - مكتبات المساجد أو لجوامع (أو مكتبات الدولة) :

تعود بداية هذه المكتبات مع نشأة المساجد وجمع القرآن وكتب أحاديث الرسول ﷺ وسيرته الذاتية وتفسيرات القرآن ثم الكتب التاريخية الخاصة بالغزوات والفتوحات ثم الكتب اللغوية والعربية والآداب والفلك والتنجيم التي تضاعف عدد

هذه المؤلفات مع بداية التدوين والنسخ ووضع النقاط على الحروف من قبل أبو الأسود الدؤلي في صدر الإسلام .

كانت هذه المساجد ملتقى العلماء والأدباء وبقية عامة المجتمع وذلك لأنها كانت المكان الأول لالقاء المحاضرات والخطب الدينية والنقاشات الأدبية من جهة وتعليم القرآن والقراءة والكتابة من جهة ثانية . ولذلك كان هذا المكان مزاراً حقيقياً يؤمهُ الأفراد ليس فقط للعبادة وإنما للتزود بالمعرفة والثقافة والتعلم ، حيث كانت تدرس فيه بقية عادات وأخلاق وتربية الأولاد كيف هي الأخلاق والمروءة والصدق والشهامة والفروسية وركوب الخيل .

ومن أشهر هذه المساجد تلك التي أقيمت في مدينة الكوفة حيث عمرت بعدد كبير من المساجد مثل مسجد الجامع الشهير ، ومسجد السهلة ويعود تأسيسها إلى القرن الأول الهجري ، كذلك مسجد الحمراء ، ومسجد الحنانة وفي هذه المساجد عقدت الحلقات الدراسية والعلمية للوعظ والدرس والمحاضرات ، وتؤكد المصادر أن المسجد الجامع الشهير بالكوفة كان مزدحماً بالناس ، وفي هذا المسجد ظهرت بوادر مبادىء الفقه المبني على التجرد والاستنباط ، وفيه ظهرت مدرسة تفسير القرآن ، كذلك كان مكاناً لإنشاد الشعر ونقده ، ومكاناً لتعليم القراءة . وكما كان مسجد الكوفة ، كان جامع بني أمية في دمشق ، والجامع الأزهر في مصر ، وجامع المنصور في بغداد وجوامع مكة والمدينة ، وجامع قرطبة وطليطلة في الأندلس ، واشتهر هذا الجامع لما فيه من حلقات كانت تعقد بحيث جذبت إليها الطلاب المسلمون والنصارى ، وكان يقصدها الطلاب من جميع أنحاء أوروبا هذه المكتبة بقيت حتى بعد سقوط طليطلة بيد الأسبان عام ١٠٨٥م ، التي عدّت مركزاً ثقافياً لجميع الأجناس البشرية .

٤ – مكتبات الخلافية :

كانت هذه المكتبات خاصة بالخلفاء والأمراء والحكام ومكاناً للحلقات والمحاضرات الأدبية والدينية ومنبراً لنشر المذاهب والعقائد التي يعتنقها الحاكم أو الخليفة. أما الإعارة فيها فمنها الخاص بالإضافة إلى أنها تضم قسماً للعامة .

اهتم حكام الدولة العباسية في بغداد والدولة الفاطمية في مصر والدولة الأموية في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري بجمع الكتب والمخطوطات من أرجاء

المعمورة لحبهم للعلم والأدب والمزيد من المعرفة مثل مكتبة خالد بن يزيد بن معاوية التي أنشأها لتكون المكتبة العلمية الأولى في فترة حكمهُ وذلك لاهتمامه بالعلوم والآداب وجمع المخطوطات ، ثم ألحقها بمركز النقل والتعريب الذي كان يشرف عليه ويقيم فيه تجاربه العلمية .

احتوت هذه المكتبة على مجموعة من الكتب القيمة ، وبخاصة كتب علم الفلك لأنهُ كان مولعاً بها ، بالإضافة إلى الكتب التي تم ترجمتها من اليونانية إلى العربية .

وتذكر بعض المصادر أن سورية لم تكن فيها مكتبات كثيرة خاصة بالأمراء والحكام ، لأن أغلب حكامها كانوا منشغلين بالحروب أو مغمورين هم وأخبارهم حيث لم يذكر لهم سيرة أو حدث ، وقسم آخر لم يهتم بالعلم والكتب وهؤلاء كانوا من (الترك والسلاجقة) .

أشهر الأمراء في سورية الذين اهتموا بالعلم والأدب سيف الدولة الحمداني وهو أبو الحسن بن علي بن عبد الله حمدان التغلبي الذي ولد سنة ٣٠٣هـ - ٩١٥م في ميافارقين أشهر مدن دياربكر ، الذي تربى على حياة أرستقراطية ، أسلمهُ أبوه إلى العلماء والحكماء لكي يدربوه ويلقنوه صنوف العلم وهو فتى عصامي ومغامر ، عاش في جو يسوده الاضطراب توفي سنة ٣٥٦هـ .

كان مقرهُ في مدينة حلب شمال سورية ، التفَّ حولهُ في البلاط عدد من الأمراء ومن أعظم الشعراء والأدباء والعلماء أمثال :

أبي الطيب المتنبي ، وأبي فراس ، وابن خالويه ، والفيلسوف الفارابي .

كذلك اهتم سيف الدولة بالنقل والترجمة ، وقد أوجد مكتبة كبرى في عهده وضعها بإشراف أخوين مشهورين في زمنه .

أما في العراق فإن هذا النوع من من المكتبات قد كثر عدده ، حيث أصبحت مظهراً من مظاهر الحضارة وازدهار الثقافة ، واتصفت هذه المكتبات بأنها كانت مفتوحة للناس . أو بالعكس كان قسم منها محرماً على العامة من الناس ، وأشهر من اهتموا بالمكتبات هم : الخليفة الناصر ، والخليفة المستنصر ، والخليفة المعتصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد ، والخليفة المنصور ، فالخليفة الناصر الذي دامت خلافته

مدة طويلة من سنة ٥٧٥ - ٦٢٢هـ / ١١٨٠م - ١٢٢٥م .كان قد نقل إلى مكتبته الكثير من الكتب والمؤلفات وهي مكونة من ثلاث خزانات وهي :

١ - خزانة الدار المسناة في بغداد .

٢ - خزانة الرباط الخاتوني السلجوقي في بغداد .

٣ - خزانة المدرسة النظامية ببغداد .

أما خزانة الخليفة أبو جعفر المنصور فكانت المثال الأكبر لخزائن الخلفاء الذي تولى الخلافة منذ (١٣٦هـ - ١٥٨ / ٧٥٤ - ٧٧٥م) ، يعد من أعظم الخلفاء العباسيين ، كونَّ مكتبته وألحقها بالقصر ، وعمل فيها العديد من الأدباء والوراقين ، وجمع كل من كان حاذقاً في النسخ والتدوين والتجليد . وتعرف على المؤلفين ، حتى يعرف كل أخبارهم وأخبار كتبهم قبل أن يصدرونها وقبل أن يطلع عليها البحاثة ، وقد وصل إلى علمه أن أبا الفرج الأصفهاني الأديب المشهور ، كان أموي النسب ، يؤلف كتاباً وهو « الأغاني » فأرسل إليه مبلغ ألف دينار من الذهب وبعث إليه بنسخة قبل أن يخرجه من العراق .

زودت هذه المكتبة بمئات المخطوطات في مواضيع متنوعة منها : الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والدين ، وكلف العديد من المترجمين بنقل المؤلفات اليونانية في مجال الفلسفة والطب وكتب الأدب الفارسية إلى العربية .

أما في مصر فكانت الخلافة ، إحدى سمات الحكم الفاطمي الأدبية والثقافية واهتمام حكامهم بالأدب والعلم والمعرفة .

وجمع الفاطميون الكتب والمخطوطات المحلاة بالذهب والفضة والمزينة بالصور والرسومات ، كانت هذه المؤلفات مخطوطة بأقلام أصحابها أو مشاهير الخطاطين أمثال ابن مقلة وابن البواب .

قسمت هذه المكتبات إلى أقسام ، الواحد يحتوي على ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة .

أسست هذه الخزائن التي وصفت بأنها من عجائب الدنيا سنة ٣٧٨هـ بجوار جامع الأزهر وكانت على نوعين :

الأولى خزائن القصر الخارجية وعددها أربعون خزانة ، والثانية هي خزائن القصر الداخلية ، وكان الاطلاع عليها محظوراً على العامة في حين أن العامة كان يسمح لهم الاطلاع على الخزائن الخارجية .

من مميزات الفاطميين أنهم اهتموا بتأثيث المكتبات وتجهيزها بأفخر وأغلى الأثاث وفرشها بالسجاد الجميل والمزخرف ، ووضع الستائر الممتازة على أبوابها ، وتزويدها بالورق والأقلام . حتى نهايتها الذي كان من جراء الحروب ودخول صلاح الدين القاهرة وإلغاء الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ ، وطرح محتويات هذه المكتبة للبيع في المزاد العلني .

أما في الأندلس وبخاصة في مدينة قرطبة ، أسست مكتبة عامة وبخاصة في آن واحد في عهد الازدهار ، وفي فترة حكم الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) في مدينة الزهراء بقرطبة ، وازدهرت وكثرت محتوياتها من كتب في عهد ابنهُ الذي استفاد من قوة والده وتوافر المال ، بالإضافة إلى حبه للعلم والكتب. بلغ مجموع كتبها نحو (٤٠,٠٠٠) مجلد كتبت فهارسها في (٤٤) كراسة في كل كراسة خمسون ورقة ، عشرون ورقة منها خصصت للدواوين الشعرية .

٥ - المكتبات المدرسية :

كان حب العرب للعلم والأدب والمعرفة قد استوجب بالضرورة تأسيس المكتبات من هذا النوع حتى شملت جميع أنحاء الامبراطورية ، والتي كانت بالأساس ملحقة بالمساجد والمعابد ، اتخذت في البداية لنفسها أن تكون مراكز لتعليم الدين والقراءة والكتابة وبقية الدروس الخاصة بالتربية والأخلاق والألعاب الرياضية مثل الصيد والرمي ، وكان تلقي هذه العلوم للدارسين مجاناً وبدون مقابل . ثم تخصصت بعض هذه المدارس ببعض الاختصاصات واستقلت عن الجوامع أو المساجد بأبنية خاصة بها ، وأشهر هذه المكتبات وهي :

المدرسة المستنصرية :

تأسست سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م في عهد الخليفة المستنصر بالله في الجانب الشرقي من بغداد ، ولاتزال آثارها باقية ليومنا هذا وعدت من أهم المباني الأثرية التي ماتزال قائمة على ضفة نهر دجلة اليسرى .

كان لهذه المدرسة شهرة ولاتزال ، لكونها أقدم وأعظم مراكز بغداد التعليمية من نحو مائتي سنة .

امتازت بمحتوياتها الثمينة التي شملت جميع النواحي العلمية والأدبية والطبية والتاريخية ، ونظمت على نسق موضوعي ، وتصنيف وفهرسة لكل موضوع على حدة. بلغ مجموعها ٨٠,٠٠٠ ثمانين ألف مجلد من أثمن الكتب ونوادرها كان يشرف على هذه المكتبة أكثر من شخص إداري وهم المشرف والخازن والمناول والحارس ، وبقية العاملين في النسخ والتجليد .

أما بنايتها فكانت واسعة ومرتبة كما هو الحال في بيت الحكمة الذي عد مركزاً فلكياً وتعليمياً . احتوت هذه المكتبة على ثلاث حجرات ، تم فرشها بالأثاث الفاخر وبقية اللوازم الخاصة بالقراءة والكتابة . وكان مكان هذه المكتبة ضمن المدرسة وسميت بخزانة الكتب وهي قاعات كبيرة تقع في الجانب الشرقي من المدرسة يفصل بينها وبين المدرسة دهليز طويل عال .

زينت جدرانها بكتابة زخرفية على مدخل المدرسة المستنصرية الأصلي استمر التدريس بها حتى القرن العاشر .

٦ – المكتبات المتخصصة :

كان من عوامل أزدهر المكتبات هو اهتمام الخلفاء والأمراء والحكام بالثقافة والتعليم والأدب ، كان نصيب المستشفيات هو الآخر اهتمام الخلفاء وذلك بإنشاء مكتبات الحقت بها وزودت بالكتب الطبية والعلمية لفائدة الطلاب والمرضى والأطباء في آن واحد .

خصصت هذه المكتبات للمناظرة والمناقشات وإعطاء الدروس العلمية والتعرف على آخر ما توصل إليه العلم من تقدم .

وأشهر المكتبات هي مكتبة عضد الدولة البويهي في بغداد الذي ولد بأصفهان ، فتح قرمان وعمان ، هزم الترك في واسط وظفر بالعراق بعد استيلائه على بغداد ، غزا جرجان وطبرستان ، عُرفَ برعايته للعلم والعلماء وإحسانه على الفقراء ، وحظي عضد الدولة من سعة بالملك ما لم يبلغهُ أحد من بني بويه ، توفي وعمرهُ ٤٧ سنة ،

ومكتبة أخرى هي بيمارستان نور الدين الشهيد في سورية . ومكتبة سراغ العلمي الذي جمع نصير الدين الطوسي فيه قرابة (٤٠٠،٠٠٠) مخطوط هذا وقد بلغت مكتبات المشافي حجماً ضخماً .

وأخيراً تذكر المصادر أن مكتبة مستشفى قلاوون بالقاهرة قد حوت على (١٠٠،٠٠٠) مجلد حصل على معظمها من مكتبة دار الحكمة بالقاهرة .

ز – نهاية المكتبات الإسلامية :

كان هناك سببان في انتهاء هذه المكتبات الزاخرة والثمينة بالمحتويات والفكر والعلم والنتاجات الأدبية والمخطوطات النادرة .

أولاً : أنهُ في أواخر الفترة العباسية بدأت تضعف الدولة جراء تفكك المجتمع الإسلامي والانقياد وراء المشكلات والصعوبات والثورات وكان هذا هو العامل الداخلي حيث أخذت الدولة تطلب نساعدة رجال الدين والفقهاء من أجل مدها بالقوة لقاء كبتها للأفكار الحرة والمستقلة والآراء الحديثة من فلسفية واجتماعية ودينية، بالإضافة إلى حركات الفتن والثورات .

ثانياً : اضمحلال الدولة وانهيارها من جهة وتقدم المسيحيين من بلد إلى آخر وبخاصة في اسبانيا التي لم يبقى منها إلا غرناطة ، ثم استيلاء الصليبيين على بيت المقدس أثناء الحروب الصليبية التي دامت قرنين ١٠٩٦ – ١٢٩١م وذلك في مصر والشام .

كان آخر الخلفاء العباسيين في المشرق هو المستعصم بالله وتميز بأنهُ مثال الرقّة والأخلاق وعد من العلماء وكبار الخطاطين واهتمامه الشديد بالثقافة والكتب والدين. وهذه الأخلاق والصفات لا تتفق مع ذوق هولاكو الذي أصبح يريد الانتقام من هذا الخليفة ، دخل بغداد هو وجنوده في ١٣ شباط عام ١٢٥٨ ، وأشاعوا فيها الخراب والدمار وقتلوا سكانها من طلبة وعلماء وشعراء ، وأحرقوا كتبها العلمية والأدبية وهي التي كانت مليئة بالعلوم والآداب والمعرفة والفنون خلال مدة أربعين يوماً كاملاً ، ويقول ابن خلدون : « إنهُ ألقيت وقت فتح بغداد ورميت كتب العلم التي كانت في

خزائنهم بدجلة حتى يقال إن نهر دجلة أصبغ لونه وتغير جراء حبر الكتب ، والأوراق والرسائل التي ألقيت فيه . ومن بينها مكتبة بيت الحكمة .

كان نصيب المكتبات الأخرى من الخراب والدمار نصيباً ليس أقل مما هو في العراق . كذلك دمرّ المغول المكتبات العشر الفخمة التي كانت في مدينة مرو كما ذكرها ياقوت كذلك فعلوا في مكتبات ساوة ، ثم انتقلوا إلى مركز الطائفة الاسماعيلية وهي قلعة الموت الشهيرة ، دمروا ما فيها من مكتبات وثقافة وعلوم . بالإضافة إلى تدمير مكتبات بني عمار في طرابلس الشام .

كانت هناك أسباب أخرى لفقدان المكتبات في الأقطار العربية وذلك جراء السلب والنهب والحرائق . كما هو الحال في مكتبة دار الحكمة في مصر ، حيث سلبت وسرقت من قبل الأتراك الذين مزقوها وحملوها إلى الاسكندرية ، وعند ارسالها إلى هناك من قبل الجهلة عملوا من جلودها أحذية لهم .

أما مكتبات الخلفاء الفاطميين في مصر فقد طرحت محتوياتها للبيع في المزاد العلني إثر دخول صلاح الدين مدينة القاهرة ، وقد استمر ذلك لوقت غير قصير ، حيث خصص يومان في الأسبوع لبيع تلك الكتب .

□ □ □

مصادر الفصل الثالث

١ - أدب الترسل من الجاهلية إلى أواخر العصر الأموي / محمود مقداد - دمشق : جامعة دمشق ، ١٩٨٦ - مج ١ (١٣٨ ص) ، ٢٤ سم .

٢ - تاريخ الأدب العربي / حنا الفاخوري ط٢ ، منقح (بيروت) المطبعة البوليسية ، ١٩٥٣ - ١١٣٦ص .

٣ - قصة الحضارة / تأليف ويليام جيمس ديورانت ، ، ترجمة زكي نجيب محمود (وآخرون) ط٣ - القاهرة : لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٨ - ٣٦ ج في ١٨ مج ٢١٩٥ص .

٤ - مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم / عمر الدقاق - حلب : المكتبة العربية ، ١٩٦٨ - ٣٣١ص .

٥ - من تاريخ المكتبات في البلدان العربية / د. خيال الجواهري - دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٢ - ٤١٤ص ، ٢٤ سم .

٦ - النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية / حسين مروة ، ط٤ - بيروت : دار الفارابي ، ١٩٨١ - ج١ ، ٢٤ سم .

الفصل الرابع

الكتب والمكتبات
في أوروبا والشرق الأقصى

أولاً – في العصور الوسطى .

ثانياً – في عصر النهضة .

ثالثاً – المكتبات الوطنية .

أولاً – العصور الوسطى هي تلك القرون العشرة الواقعة بين العصور القديمة والعصر الحديث ، وتمتد في الفترة الواقعة بين القرنين الخامس والخامس عشر ، أي منذ سقوط الامبراطورية الرومانية وحتى بداية عصر النهضة ، وفي هذه الفترة ، التي كانت عصر ازدهار وتطور بالنسبة للحضارة العربية ، خيم على أوربا ظلام طويل من التخلف والجهل ، وبالطبع فلم يكن الكتاب والمكتبات استثناء من ذلك .

فمع بداية العصور الوسطى دخل الكتاب مرحلة صعبة ، فقد تداعى الأساس القديم الذي قامت عليه ثقافة الكتاب . صحيح أن ذلك لم يحدث دفعة واحدة وفي كل الأقاليم الأوربية الثقافية والسياسية الكبرى ، التي قامت على أنقاض الامبراطورية الرومانية . ففي فجر العصر الوسيط كانت لاتزال بعض ورش النسخ تصادف هنا وهناك ، واستمرت تقدم خدماتها للنخبة المتعلمة ، لكن اندلاع الحروب والغزوات أدى إلى تلاشي المجتمع القديم ، ولم يلبث الكتاب أن فقد دوره الاجتماعي ، حيث تحول من أداة لنقل المعلومات العلمية والأدبية إلى مادة للتقديس وممارسة السحر والشعوذة . وقد ذهب الكثير من المكتبات الضخمة ، التي كانت منتشرة في روما والمدن الأخرى ، طعماً للنيران ، ولم تكتب النجاة إلا لكميات قليلة من الكتب القديمة، التي وجدت ملجأ لها في المكتبات الجديدة في الأديرة والكنائس والمدارس الدينية ، التي تحولت إلى مراكز تحتكر إنتاج الكتاب في الغرب حتى ظهور ورش النسخ المدنية في الجامعات .

كانت الأديرة المكان الوحيد للقراءة والكتابة ، أما خارجها فقد كانت الأمية تضرب أطنابها في كل مكان . وعادت المشافهة لتحتل المرتبة الأولى ، إن لم نقل

الوحيدة في عملية التواصل ، ولم يلبث الرسم أن تحول إلى واحدة من أهم أدوات التواصل .

ومن المعروف أن الرسم كان ذا أهمية بالغة كأداة للتواصل في كل الحضارات القديمة بدءاً من المصريين ورسومهم في « كتب الموتى » وإنتهاءً باليونانيين والرومانيين. حتى إن العالم فارون وضع قاموساً ضخماً للأعلام زينه برسوم ٧٠٠ شخصية من الشخصيات المشهورة .

وإزاء تفشي الأمية على هذا النطاق الواسع بين الناس دعا البابا وكبار رجالات الكنيسة إلى استخدام الرسم في الدعوة للدين الجديد . وهكذا فقد ظهرت اللفافات المصنوعة من الرقوق والمزدانة بالرسوم والمشاهد المختلفة المستقاة من الكتاب المقدس ، بالإضافة إلى رسوم الحكام المعاصرين . وكان طول هذه اللفافات يتراوح بين ٢ - ٩ أمتار ، بينما يتراوح عرضها بين ١٥ - ٤٧ سم . وقد وصلنا ٣١ نسخة من هذه اللفافات . غير أن أهمية الرسم سوف تزداد لاحقاً ، عندما يتم طبع رسوم القديسين بالقوالب الخشبية ، أو عندما يتم طبع الكتب التي يتراجع فيها النص إلى المرتبة الثانية بعد الرسم .

وفي نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع ، أي في عهد شارلمان ، ازداد الاهمام بالتعليم والتشجيع على القراءة والكتابة ، ويعود الفضل الكبير في تلك النهضة الثقافية إلى الأباتي الكوين من دير يورك .

وبفضل الإمكانات المادية والرغبة العارمة تمكن شارلمان من تحقيق الكثير من أهدافه الرامية إلى إحياء الأكاديمية الهلنستية ومكتبة الاسكندرية ، فجمع أفضل النساخ والرسامين ، الذين طوروا أسلوباً خاصاً في رسم المنحنمات ، وأسس مكتبة ضخمة في قصره ، كانت تحتوي مخطوطات نادرة لكتاب العصر القديم .

وفي هذه الفترة ازداد اهتمام الحكام والاقطاعيين ورجال الدين بالكتاب ، وراحوا يتسابقون على اقتناء المخطوطات النادرة ، التي كانت مزدانة بالأغلفة الفضية والذهبية ومرصعة بالأحجار الكريمة ، ولا شك أن عصر شارلمان يعد همزة وصل مهمة تربط بين العصر القديم وعصر النهضة اللاحق .

ومن حيث موضوع الكتاب في مطلع العصر الوسيط فقد كان أغلب ما كتب ونسخ في تلك الفترة ذا طابع ديني بحت ، أما الكتب المدنية ، أي المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، أو ما كان يعرف باسم الكتب الوثنية ، فقد كانت تواجه بالعداء إجمالاً ، وبدأت تختفي الأعمال الهامة بسبب عدم الاهتمام بإعادة نسخها ، وإزاء قلة الورق راح بعض النساخ يستخدمون هذه الأعمال للكتابة فوقها ، بعد مسح كتابتها الأصلية ، وقد أطلق على هذا النوع من الرقوق اسم « باليمبست » ، واستمر هذا الوضع حتى القرن الثامن الميلادي ، أي حتى عصر النهضة الكارولية ، حيث بدأ الاهتمام بنسخ الكتب المدنية إلى جانب الكتب الدينية .

أما من حيث انتشار الكتاب فقد كاد يكون قصراً على أماكن إنتاجه ، أي على الأديرة والكنائس . فوراء جدران الأديرة التي انتشرت في أوربا ، كان ينتج الكتاب ويحفظ ، حيث يقوم الرهبان بالنسخ والفنانون بتزيينه بالرسوم ، وحتى الرق كان ينتج محلياً ، وبعد ذلك يضاف الكتاب إلى مكتبة الدير . ومن أشهر هذه الأديرة نذكر : دير فيفاريوم ثم دير كاسسينو والأديرة التي أسسها المبشرون الإرلنديون والأنغلوساكسونز . حتى إن الفضل في بروز النهضة الكارولية يعود إلى حد كبير إلى هذه الأديرة ونشاطها ، وبخاصة إلى نشاط الرهبان المتعلمين ، القادمين من إيرلندا وسكوتلندا وإنكلترا ، إلى القارة الأوربية .

ولا بد من الإشارة بشكل خاص إلى الدور الكبير الذي لعبته الرهبانيات في إنتاج الكتاب وسعة إنتشاره . فقد كان القديس دومينيك ، مؤسس الرهبانية المعروفة باسمه « الدومينيكان » يفترض أن مجابهة الأفكار والحركات الهرطقية المختلفة يجب أن تتم بالحجج المعرفية ، وبالتالي فقد اعتمد هؤلاء الرهبان على الكتاب في كفاحهم ، وأصبح التعليم ضرورة أساسية ، ومن هنا التحق أتباع هذه الرهبانية بالمدارس والجامعات في باريس واكسفورد وبولونيا ، وكان التعليم إلزامياً على جميع أعضاء هذه الرهبانية ، حيث تأسست المدارس والمكتبات في الأديرة التابعة لهذه الرهبانية في مختلف أرجاء أوربا . حتى إن الرئيس الخامس لهذه الرهبانية وهو ميرت دي رومانيس ضمن كتابه المعروف « مهمات الرهبنة » تعليمات مفصلة لعمل المكتبات وأمنائها ، بما فيها التصنيف حسب الموضوعات ، وإعداد الفهارس بالكتب الموجودة وتجليد الكتب ،

وإمكانية الإعارة للقراء سواء من الدير أو خارجه ، وكانت الكتب في تلك الآونة تربط بسلسلة لحمايتها من السرقة .

أما بالنسبة لرهبانية الفرانسيسكان فإن مؤسسها لم يكن يولي أي اهتمام للكتاب ولا للتعليم . بل ركز جلّ اهتمامه على الزهد ورفض العنف ، حتى إنه كان يدعو إلى المقولة التالية : « من لا يعرف القراءة لا يجهد نفسه في تعلمها » . ومع هذه فإن أتباعه لم يشاطروه هذه الأفكار ، وعمدوا بعد وفاته إلى تشييد أضخم كنائس العصر الوسيط ، كما أن أديرتهم كانت غنية بالكتب المنظمة بشكل جيد ، وكانت المكتبة المركزية لهذه الرهبانية الأغنى من نوعها في أوربا والأفضل ترتيباً ، حيث كانت تضم ٧١٨ كتاباً وهذا الرقم كبير جداً بالنسبة للقرن الرابع عشر في أوربا.

هذا ويعد ظهور الجامعات بداية مرحلة تطور جديدة في حياة الكتب والمكتبات، حيث كان لا بد من إصدار الكتب بأعداد كبيرة من النسخ لتلبية حاجة الطلاب المتزايدة إلى العلم . ولم تكن ورش الأديرة القديمة ولا نوعية كتب الأديرة بقادرة على تأمين هذا الكم الهائل من الكتب في مختلف مجالات المعرفة ، وهكذا فقد افتتحت في الجامعات ورشات عديدة لإنتاج الكتاب بدءاً من إنتاج الرقوق ونسخ الكتاب وتزيينه بالرسوم وإنتهاءً بالتجليد وحتى بالتسويق . وقد كانت الكتب الجامعية تنسخ على ورق رخيص وذات تجليد متواضع ، ورسوم بسيطة ، أي أن الكتاب عاد ليصبح أداة لنقل المعلومات بعد أن كان أداة للزينة وموضع تقديس . وإلى جانب ورش النسخ الجامعية لم تلبث أن ظهرت الورش الخاصة في المدن المختلفة ، وبازدياد الطلب على الكتاب يزداد عدد ورش النسخ ، وتزداد أهميتها ، وتتسع رقعة انتشارها، حتى إن هذه الورش تحولت إلى مشاريع صناعية حقيقية في النصف الأول من القرن الخامس عشر ، ولم تعد هذه الورش تعمل حسب الطلب فقط ، بل وأصبحت تنتج الكتاب للبيع في الأسواق . وهكذا فقد ظهر الناشرون ، وكان من أشهرهم لاوبر ، الذي كان يرفق الكتب التي يصدرها بقوائم الكتب الموجودة في مكتبته ، والمخصصة للبيع ، وعلى غرار ورشة لاوبر الألمانية كانت توجد ورشات نسخ أخرى في فرنسا وإنكلترا وإيطاليا .

وكان قصب السبق في ميدان إنتاج الكتاب والإتجار به من نصيب إيطاليا ، وذلك نظراً للإقبال الكبير عليه من قبل الملوك والأمراء والتجار والمدارس والجامعات والأغنياء ورجال الكنيسة والعلماء وهواة جمع الكتب ، وتحولت فلورنسا إلى مركز مهم لإنتاج الكتاب والإتجار به على المستوى الأوربي ، حتى إن أحد شوارعها كان يحمل اسم « شارع المكتبات » نظراً لكثرة ما كان فيه من مكتبات ، حيث بالإمكان ليس شراء الكتب فقط ، بل ولقاء الكتّاب والعلماء .

ومن بين أوسع الناشرين الفلورنسيين شهرة في تلك الآونة قسبازيانو دا بيستيتشي ، الذي لقب بـ « أمير الكتب » ، فإلى مكتبته كان يتوافد نخبة المثقفين ، بفضل ما جمع فيها من المخطوطات النادرة ، والكتب القيمة ، وبفضل استخدامه أشهر الكتّاب في ورشة النسخ لديه ، حيث كان يتلقى الطلبات من الأمراء وهواة جمع الكتب في مختلف أنحاء أوربا ، وكان حريصاً على أن يكون النسخ من المخطوطات الأصلية، فكان أول من ساهم في فتح الطريق أمام صدور المطبعات المحققة لاحقاً .

الرقابة على الكتاب :

على الرغم من القيود الصارمة على التفكير الحر وملاحقة الكتب « الوثنية » و « الهرطقية » فقد ظهر عدد من المفكرين الذين استطاعوا التعبير عن بعض آرائهم ، مما جر عليهم غضب الكنيسة وملاحقتها ، وكانت أقدم حادثة على منع الكتاب في تاريخ المسيحية قد سجلت قبل بداية العصر الوسيط وذلك في النصف الأول من القرن الرابع حين منعت مؤلفات أسقف الاسكندرية آريوس بسبب مضمونها الذي يتعارض مع التفسيرات الرسمية ، وتلت ذلك قرارات عديدة رسمية أو دينية تمنع هذا الكتاب أو ذاك ، أو حتى تأمر بإعدامه حرقاً .

وكانت القائمة السوداء الأولى بالكتب المحظورة قد ظهرت في نهاية القرن الخامس الميلادي ، في ما عرف باسم « مرسوم فيليسيان » ، الذي تضمن قائمة بالكتب الجيدة والمفيدة ، وأخرى بالكتب الهرطقية والمشبوهة والتي تحظر قراءتها .

ومنذ القرن السادس ، ومع بسط الكنيسة سيطرتها التامة على المجال الروحي ، أصبحت ملاحقة الكتاب والكتب تتم عند أبسط انحراف عن التعاليم الدينية ، وبخاصة

تلك التي تتحدث عن القديسين ، أو المؤلفات الهرطقية ، والخرافية ، ففي نهاية القرن السابع صدر قرار كنسي بإعدام سير الحياة المنسوبة إلى الشهداء ، ومع بداية القرن التاسع اتخذ بطريرك القسطنطينية قراراً مشابهاً .

ولم يقتصر الأمر على إعدام الكتاب الممنوع ، بل وكان يحظر على الناس قراءته تحت التهديد بالحرمان ، وفي هذا الإطار منعت ترجمات الكتاب المقدس إلى اللغات الشعبية ، وحتى امتلاك هذه الترجمات ، وقد ازدادت قرارات المنع هذه في فرنسا بخاصة منذ القرن الثاني عشر . ففي نهاية القرن الثالث عشر أصدر المجلس الكنسي قراراً يمنع أفراد الشعب من امتلاك نصوص العهدين القديم والجديد ، وفيما بعد صدرت قرارات من هذا النوع في إنكلترا واسبانيا وغيرهما .

المؤلفات الببليوغرافية :

شهد العصر الوسيط ظهور عدد من المؤلفات المرجعية المهمة ، التي وضعت بالاعتماد على الموسوعات والأعمال الببليوغرافية القديمة ، بما فيها كتاب « التاريخ الطبيعي » لمؤلفه بلين في القرن الأول ق.م .

ومن بين المؤلفات الببليوغرافية ، التي ظهرت في العصر الوسيط ، برزت بخاصة موسوعة « الإتيمولوجيا » لمؤلفها أسيدور الأشبيلي ، في مطلع القرن السابع الميلادي. والإتيمولوجيا علم يهتم بدراسة أصول الكلمات وتاريخها . وقد ضمت هذه الموسوعة، التي كانت الأولى من نوعها في العصر الوسيط ، عشرين مجلداً ضمنها المؤلف كل معارف عصره في ميدان القواعد والبلاغة واللغات والطب والحيوان والزراعة والمعادن والأسلحة والسفن وغيرها ، ونظراً لأهميتها فقد انتشرت على نطاق واسع في مختلف أرجاء أوربا القروسطية ، وظلت ، على الرغم من بعض عيوبها ، المصدر الأساسي للحصول على المعلومات على مدى عدة قرون .

وليس أدل على اتساع رقعة انتشارها من وصول عدد نسخها إلى زهاء ٩٥٠ نسخة ، وكانت كل مكتبة من مكتبات الأديرة تحاول الحصول على نسخة منها ، وعلى أساس هذه الموسوعة وضع ماوروس موسوعته « حول الشؤون الطبيعية » أو « حول الكون » في منتصف القرن التاسع ، مع بعض الاختلاف بين الموسوعتين ،

فالأولى ، وإن كانت من وضع عالم مسيحي ، كانت شبه وثنية ، نظراً لاعتمادها على المصادر اليونانية والرومانية القديمة ، أما الثانية فكانت ثمرة العصر الوسيط المسيحي ، وقد اتسمت تفسيراتها للظواهر الطبيعية والاجتماعية بالتصوف ، واختلط الواقع فيها بالخيال .

ومن الموسوعات القروسطية المهمة الأخرى موسوعة « المرآة الكبرى » لمؤلفها الدومينيكاني فينسنت في النصف الأول من القرن الثالث عشر . وذلك بتكليف من الملك الفرنسي لويس التاسع ، الذي زوده بورشة كبيرة من النساخ ، الذين قاموا بعملية التصنيف الواسع ، هذا التصنيف الذي يعد أكبر تصنيف من نوعه حتى القرن الثامن عشر ، وفيما بعد صدرت هذه الموسوعة مطبوعة في أربعة مجلدات ضخمة في سبعينيات القرن الخامس عشر .

وفي القسطنطينية ظهر عدد من الموسوعات لعل من أشهرها«كتاب العطورات» لبطريرك القسطنطينية فوس وذلك في القرن التاسع . تضم هذه الموسوعة عرضاً لـ ٢٨٠ كتاباً كانت في مكتبة المؤلف ، ولا تزال موسوعة فوس محافظة على أهميتها ، لأنها تعرفنا بالكثير من الكتب القيمة ، التي لم تصل إلينا .

وفي نهاية القرن العاشر صدر في القسطنطينية أول عمل معجمي شامل بعنوان Suidas وهو تصنيف يعتمد على الأعمال البيبليوغرافية السابقة ، وقد اعتمد الترتيب الأبجدي في عملية التصنيف ، على غرار المعاجم القديمة .

أما بالنسبة لقواميس الأعلام فقد كان من أبرزها قاموس « حول الكتاب المسيحيين » لهنريك غاند ، وذلك في القرن الثاني عشر ، وهو غني بالمعطيات البيوغرافية والبيليوغرافية ، ويتضمن زهاء تسعة آلاف كتاب للمؤلفين المسيحيين البارزين منهم والمغمورين .

وفي منتصف القرن الثالث عشر وضع ريكاد من فورنيغال دليلاً بيليوغرافياً مهماً بعنوان « في أسماء الكتب » ، ضمنه عناوين ٣٠٠ كتاب في مختلف الاختصاصات ، ثم ظهر « صديق الكتاب » لمؤلفه ريتشارد دي بوري في القرن الرابع عشر ، الذي ضمنه مجموعة كبيرة من المؤلفات القديمة والقروسطية .

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى الفهارس المخطوطة في المكتبات ، كمصدر مهم للمعلومات الببليوغرافية ، وإلى الفهارس الجامعة ، التي بدأت بالظهور في نهاية القرون الوسطى (القرنين ١٤ و ١٥) . وكانت هذه الفهارس تقدم المعلومات عن الكتب في المكتبات المختلفة . ففي القرن الرابع عشر وضع الفرنسيسكان فهرساً جامعاً بعنوان « سجل الكتب في إنكلترا » ، من خلال مسح ١٨٦ مكتبة فيها ، وكان ثمة فهرس من هذا النوع قد ظهر في القرن الثالث عشر في كلية السوربون .

المكتبات القروسطية :

سبق وأشرنا إلى أن المكتبات بدأت تتركز في الأديرة والكاتدرائيات وقصور الحكام والأمراء والاقطاعيين . أما المكتبات العامة فلم تظهر في أوربا إلا في نهاية القرون الوسطى .

وقد انتشرت مكتبات الأديرة والكنائس بخاصة في إنكلترا منذ القرن السادس ، (مكتبة كانتربري) والقرن السابع (مكتبة يورك) وفي فرنسا تركزت أهم المكتبات في ليون وريمس ، وفي ألمانيا تركزت في ماينس وتريه ، ثم مكتبة لوتشي وفيرونا في إيطاليا ، وقد تأسست مكتبة فيرونا في القرن الخامس ، ولا تزال محافظة على أهميتها بفضل ما فيها من نسخ نادرة من الكتب القديمة ، وتضم أقدم مخطوط مؤرخ في أوربا خلال العصر الوسيط وهو كتاب « سيرة حياة مرتينوس » .

أما مكتبات الاقطاعيين والحكام فكانت غنية بالمؤلفات النادرة والهامة ، ونشير هنا إلى مكتبة فريدريك الثاني ملك صقلية (القرن الثالث عشر) ، فقد جمع في بلاطه العديد من المترجمين والشعراء والعلماء ، وأشرف على ترجمة الكتب العلمية من العربية واليونانية .

كما لا بد من الإشارة إلى مكتبة البابوات ، التي تأسست في القرن الرابع ، وعلى الرغم من أن الدمار لحق بها أكثر من مرة خلال القرون الوسطى فإن بناءها كان يعاد من جديد ، وقد ازدهرت بخاصة في القرن الثاني عشر ، قبل أن تدمر ، ثم ظهرت من جديد في القرن الرابع عشر ، حيث يدل الفهرس المحفوظ فيها ، والذي يعود إلى منتصف القرن الرابع عشر،على أنها كانت تضم حينئذ أكثر من ألفي كتاب،

وفيما بعد نقلت هذه المكتبة من أفينيون إلى الفاتيكان مقر البابا الجديد ، ولم تلبث أن أصبحت واحدة من أهم المكتبات ليس في إيطاليا وحدها ، بل وفي أوربا كلها .

الشرق الأقصى في العصر الوسيط

لم يحدث في بلدان الشرق الأقصى ، وبخاصة الصين ، ذلك الانقطاع في التطور الحضاري ، الذي شهدته الثقافة اليونانية – الأوربية . ففي القرن السابع حققت الصين تطوراً حضارياً مهماً ، وشهدت قفزة ثقافية كبيرة ، بما في ذلك ميدان إنتاج الكتاب . حيث كان لانتشار الديانة الجديدة – البوذية – دور كبير في زيادة الإقبال على الكتاب ، وانتشاره على نطاق واسع . وقد ساهم الحكام في تنظيم وتشجيع المشاريع لإنتاج الكتاب . وإزاء تزايد عدد القراء كان لابد من زيادة عدد النسخ ، ومن المعروف أن الصينيين عرفوا طريقة سريعة وفعالة لنسخ الكتب بوساطة النقوش الحجرية .

ففي عهد أسرة تانغ – القرن السابع – بذل الحكام جهوداً كبيرة لتطوير العلوم والفنون ولإحياء الامبراطورية القديمة . ووصلت الصين ذروة تطورها الثقافي في عهد الامبراطور مينغ هوانغ (النصف الأول من القرن الثامن) . وفي بداية حكم هذه الأسرة تأسست مكتبة كبيرة في العاصمة تشانغ – آن ، كانت تضم أكثر من ١٠٠ ألف لفافة .

ومنذ القرن الثامن بدأ إنتاج الكتاب بوساطة القوالب الخشبية ، وإن كان بعض المؤرخين يؤكد أن نسخ الكتاب بهذه الطريقة قد بدأ في الصين منذ القرن السادس . على أن أقدم كتاب مطبوع بوساطة القوالب الخشبية وصلنا يعود إلى النصف الثاني من القرن التاسع ، ويتضمن النص البوذي « سوترا الماسية » وهو محفوظ الآن في المكتبة البريطانية في لندن ، وبالإضافة إلى ذلك فهناك مدونات تؤكد عرض الكتب المدرسية والمؤلفات المعجمية للبيع ، وأن أكثرها كان منقوشاً على الخشب أو مطبوعاً على الورق .

ومع النصف الأول من القرن العاشر قرر الوزير فنك ناو إصدار طبعة نقدية للمؤلفات الكلاسيكية ، وبذلك بدأت مرحلة نوعية جديدة في تطور الطباعة بوساطة

القوالب الخشبية ، حتى إن اختراع الطباعة ينسب إلى فنك تاو ، بسبب هذا المشروع الكبير ، الذي يعد مؤشراً لبدء ازدهار الطباعة بالقوالب الخشبية ، وهذا الاختراع قد لا يكون أقل أهمية من اختراع غوتنبرغ للطباعة .

وفي عهد أسرة سونغ (٩٦٠ - ١٢٨٠) أصبحت الأكاديمية القومية مركزاً للنشاط الطباعي ، ثم تعددت جهات إصدار الكتاب . وهكذا فقد صدرت آلاف الكتب في الطب والزراعة والأدب والدين والتاريخ . بما في ذلك طبع الكتاب البوذي « تريبيتاكا » في أكثر من خمسة آلاف كراس (أكثر من ١٣٠ صفحة) .

وقد ساهم ذلك كله في ظهور المكتبات العامة وتطورها بما فيها المكتبة الامبراطورية في خانجو العاصمة .

وفي القرن الحادي عشر تم اختراع جديد في تقانة الطباعة - اختراع الحروف المتحركة ، بوساطة الحروف الخشبية ، بدلاً عن القوالب الخشبية . على يد بي شينغ لكن هذا الاختراع لم يلق الاهتمام الكبير في حينه .

وفي كوريا : شهد إنتاج الكتاب إزدهاراً ملحوظاً في القرون الوسطي ، ومن المعروف أن الكوريين مدينون للصينيين بالكثير في ميدان الكتابة والطباعة ، فقد أخذوا عنهم النظام الإيدوغرافي للكتابة ، واللغة ، والطباعة بوساطة النقوش الحجرية ، التي ساهمت في ظهور الطباعة بوساطة القوالب الخشبية ، وإن كان بعضهم يقول إن كوريا سبقت الصين في ميدان الطباعة بوساطة القوالب الخشبية .

وفي القرنين العاشر والحادي عشر ازدهرت الطباعة الكورية ، وازداد الإقبال علي الكتاب نتيجة تطور التعليم في المدارس والجامعة ، وازدهرت تجارة الكتب سواء في البلاد أو مع الصين واليابان ، وصدرت الطبعة الكورية من « تريبيتاكا » ثم الطبعة الثانية في القرن الثالث عشر ، ولا تزال الألواح الخشبية (وعددها ٨١٢٥٨ لوحاً) محفوظة في أحد الأديرة البوذية باعتبارها من أثمن الكنوز القومية .

وفي القرن الثالث عشر حقق الكوريون قفزة نوعية مهمة في ميدان الطباعة بوساطة الحروف المتحركة المعدنية ، بدلاً من الخشبية ، وكان أول كتاب في العالم يطبع بهذا النوع من الحروف هو « قواعد السلوك » عام ١٢٣٤ في ٢٨ نسخة . وفي

نهاية القرن الرابع عشر تأسس في كوريا « معهد الدولة لطبع الكتب » ووضعت الطباعة تحت رقابة صارمة ، مما حال دون انتشارها وتحولها إلى مهنة تجارية وذلك خوفاً من انتشار الكتابة في الأوساط الشعبية ، وبالتالي فقد ظلت الطباعة قصراً على البلاط ومن يمنحه البلاط حق ممارسة هذه المهنة ، وهذا ما وقف حجر عثرة في طريق تطور الطباعة الكورية ، وقلل من تأثيرها في التطورات الاجتماعية .

وبعد الغزو الياباني لكورية دمر اليابانيون أو نهبوا القسم الأكبر من الأحرف المعدنية الكورية ، مما دفع بالكوريين لاحقاً إلى العودة إلى الطباعة بالقوالب الخشبية أولاً ثم عادوا إلى المعدنية .

ولاشك أن الكوريين لعبوا دوراً بارزاً في ميدان الطباعة ، فهم أول من استعمل القوالب الخشبية ، وكانوا أول من فكر بالطباعة بالأحرف المعدنية المتحركة . ولايستبعد أن يكونوا قد أثروا على ظهور الطباعة في أوربا على يد يوحنا غوتنبرغ .

وفي اليابان : أيضاً كان للثقافة الصينية دور كبير في تطور الثقافة اليابانية . فعن الصينيين أخذ اليابانيون الكتابة والديانة البوذية ، التي تحولت إلى القوة الدينية والسياسية في البلاد خلال القرن الثامن . وإلى الصين كان يوفد الطلبة اليابانيون للدراسة ، ويعودون منها مزودين بالمنجزات الثقافية المهمة ، هذا عدا عن دور المبشرين الصينيين في العاصمة اليابانية وما كانوا يحملونه معهم من الكتب الدينية والطبية والأدبية ، ومن تقانة الطباعة بوساطة القوالب الخشبية . وفيما بعد بدأ اليابانيون يكتبون بلغتهم القومية بدلاً من الصينية ، وازداد الاقبال على الأعمال الأدبية، بالإضافة إلى الكتب الدينية البوذية .

وأخيراً ففي **الهند** تميزت القرون الوسطى بنهضة كبيرة في ميادين العلم والأدب والرياضيات ، وتطور إنتاج الكتاب بوتائر سريعة ، لتلبية حاجات المدارس والجامعات والمكتبات الجامعية .

لكن الحروب المختلفة ألحقت الأضرار الكبيرة بالكتب والمكتبات ، في قصور الحكام والأغنياء وفي المعابد ، وكان نسخ الكتب يتم على يد الرهبان في المعابد ، بالإضافة إلى بعض الورش التي كانت تقوم بالنسخ للأغنياء ، ومع قدوم المسلمين

ظهرت ورش نسخ القرآن الكريم والنصوص الأخرى بالعربية والفارسية ، وفي القرون الوسطى ظلت الهند تستخدم سعف النخيل ولحاء شجر البتولا في الكتابة ، ولم يستعمل الورق فيها إلا في القرن الثالث عشر وفي شمال الهند فقط أما في بقية المناطق حيث الديانات الأخرى ، فقد ظل سعف النخيل يستخدم في المعابد البوذية لفترة طويلة .

بعض خصائص الكتب والمكتبات في العصر الوسيط :

تميز إنتاج الكتاب وتأسيس المكتبات في العصر الوسيط في أوربا بعدد من السمات والخصائص :

١ – ازدهار الكتاب الديني وقلة الكتب العلمانية (الوثنية) .

٢ – ازدهار مكتبات الأديرة والكنائس وقلة عدد المكتبات العامة .

٣ – قلة عدد المتعلمين وبالتالي تناقص عدد القراء مما أدى إلى ضعف إنتاج الكتاب .

٤ – كانت مكتبات العصور الوسطى الأوربية فقيرة جداً بالمراجع بالمقارنة مع مثيلاتها من المكتبات العربية والإسلامية ، فبينما كانت محتويات الأخيرة تعد بالآلاف لم تكن محتويات الأولى تعد إلا بالعشرات والمئات .

٥ – كان نساخ المخطوطات في أغلبهم من رجال الدين .

٦ – تزايد الاهتمام بالمكتبات العامة بعد انتشار التعليم المدرسي والجامعي .

٧ – الاعتماد المطرد على الرقوق في النسخ بدل ورق البردي .

٨ – حلول الكراس محل اللفافة .

٩ – الاهتمام بتجليد الكتاب وتزيينه .

١٠ – الاهتمام بالرسم كوسيلة مهمة في التواصل بسبب تفشي الأمية .

ثانياً – الكتب والمكتبات الأوربية في عصر النهضة :

يعد القرن الخامس عشر نهاية للعصر الوسيط في أوربا وبداية لعصر النهضة ، وفي هذا العصر بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الكتب والمكتبات الأوربية ، تميزت بالتطور المطرد في مجال إنتاج الكتاب بعد انتقاله من الشكل المخطوط إلى الشكل المطبوع ، وباتساع رقعة انتشاره وبظهور العديد من المكتبات الضخمة في مختلف

العواصم والمدن الأوربية ، كما تميزت هذه المرحلة بنشوء علم جديد وتطوره هو علم المكتبات ، وبتأسيس المكتبات الوطنية .

والواقع أن بداية الانبعاث الثقافي في إيطاليا تعود إلى نهاية القرن الثالث عشر ، هذا الانبعاث الذي دعي بحركة « الإحياء » نسبة إلى لقب رجال الإحياء ، الذي كان يطلق على جميع الأدباء والفلاسفة وعلماء اللغة الذين يقومون بجمع وتدريس التراث القديم ، وبخاصة تراث اليونان والرومان القدماء .

وقد نشط رجال الإحياء هؤلاء في البحث عن المؤلفات الأدبية والعلمية القديمة في مكتبات الأديرة والكنائس والمكتبات الأخرى . ثم انكبوا على تحريرها ونسخها وترجمتها ودراستها ، فأعادوا إلى هذه المؤلفات مكانتها وأهميتها ، بعد أن كانت توصم بالوثنية ، وتوضع في المرتبة الثانية بعد الكتب الدينية ، وتلاحق وتحرق .

وكان بتزارك وبوكاشيو في طليعة الباحثين عن المخطوطات القديمة ، واستطاع بتزارك جمع مكتبة ضخمة من هذه المخطوطات القيمة والنادرة . ولاتزال في باريس حتى اليوم قائمة بالكتب التي قرأها وسجلها .

ولم يكتف بتزارك بجمع المخطوطات ، بل كان يراجعها ويقارن بين النسخ المختلفة للكتاب الواحد ، لكي يكتشف النص الأصلي . ثم يقوم بنسخها أو يكلف أحداً بذلك . ومن هنا يقال إن عملية التحليل النقدي للنصوص في العصر الحديث وتحقيق مؤلفات الكتّاب القدماء بدأت مع بتزارك .

وفي هذه المؤلفات اكتشف بتزارك دعوة الكتّاب القدماء إلى ضرورة تأسيس المكتبات العامة وفتحها أمام الجميع ، فكان أول من بادر إلى تأسيس مكتبة عامة على غرار المكتبات الرومانية العامة ، وقرر أن يهب مكتبته الغنية إلى الكنيسة شرط أن تصبح نواة مكتبة عامة .

وفي مرحلة « حمى جمع المخطوطات » التي اجتاحت أوربا برز نيقولا نيقولي كواحد من أشهر هواة جمع الكتب ، وقد أنفق ثروته الطائلة على ذلك ، فقد كان يوصي عليها من مختلف البلدان ، ويطوف أرجاء إيطاليا بحثاً عن المخطوطات النادرة في الأديرة والكنائس والقصور . ولم تلبث مكتبته أن تحولت إلى مركز للمخطوطات

القديمة يضم زهاء ٨٠٠ مخطوط ، أهداها قبيل وفاته إلى أحد الأديرة شرط أن توضع في متناول جميع الباحثين . وفيما بعد تولى أحد أصدقائه من آل ميديتشي تشييد بناء لهذه المكتبة القيمة ، وفتح أبوابها للجمهور ، وأصبحت تعرف باسم « مكتبة مارسيانا » ، واستمر في إغنائها بالمخطوطات القديمة ، مما جعلها تجتذب العديد من مشاهير العلماء والكتاب في فلورنسا ، واستمرت على هذا النحو حتى القرن السابع عشر ، حيث بدأت تفقد كتبها وأهميتها .

وقبيل سقوط القسطنطينية كان الكثير من الرهبان والمتعلمين اليونان يغادرونها باتجاه إيطاليا حاملين معهم كتبهم ، ومن أشهر هؤلاء بازيليوس بيساريون ، الذي جلب معه ٧٥٠ مخطوطاً أسس بها مكتبة لم تلبث أن تحولت إلى ملتقى للنخبة الإيطالية المتعلمة المهتمة بالثقافتين اليونانية واللاتينية .

ومن بين أوسع الأسر شهرة في رعاية الثقافة والأدب يأتي آل ميديتشي ، الذين كانوا ينفقون المبالغ الطائلة على شراء المخطوطات النادرة ، وإهدائها إلى المكتبات ، ويرسلون المبعوثين إلى الشرق بحثاً عن المخطوطات ، وقد فتحوا مكتبتهم « لاورنزيانا » أمام الباحثين ، وقد أمتها أشهر الشخصيات في عصر النهضة ، وارتبطت بها ثقافة مرحلة بكاملها . وفيما بعد فتحت أمام الجمهور ، ووضعت مخطوطاتها الثلاثة آلالف في متناول القراء ، وبعد اختراع الطباعة استمرت في جمع الكتب المطبوعة إلى جانب المخطوطة ، وتضم اليوم أكثر من ١١ ألف مخطوط و ٤ آلاف من الكتب المطبوعة القديمة ، وأكثر من ٥٠ ألف كتاب آخر .

وفي إيطاليا أيضاً اشتهرت مكتبة البابوات أو مكتبة الفاتيكان ، التي لم تلبث أن تحولت إلى أهم مكتبة في العالم ، وهي اليوم من أغنى مكتبات العالم بالمخطوطات النادرة والكتب المطبوعة القديمة (٦٠ ألف مخطوط و ٧ آلاف من الكتب القديمة) . وقد ورد في إحدى الوثائق البابوية : « يجب أن تكون المكتبة مفتوحة لكل المتعلمين في عصرنا والعصور اللاحقة » . وبالفعل فقد كان بوسع القراء آنذاك استعارة المخطوطات والكتب النادرة ، وعلى ذلك تدل القوائم الطويلة للاستعارة .

ولم تكن النهضة المكتبية قصراً على إيطاليا ، بل وشملت مختلف البلدان الأوربية في فترات مختلفة . ففي إنكلترا مثلاً ازداد عدد المتأثرين بحركة الإحياء خلال القرن

الخامس عشر وازداد الاهتمام بمؤلفات الكتاب الكلاسيكيين ، وتحولت مكتبة جامعة أكسفورد إلى مركز لجمع الكتب والمخطوطات التي كان يؤتى بها من إيطاليا وغيرها من المدن الأوربية .

وفي فرنسا أيضاً ازداد الإقبال على المؤلفات الكلاسيكية، وبدأ الفرنسيون بجميع الكتب والمخطوطات النادرة ، وفي مطلع القرن السادس عشر تأسست المكتبة الملكية الثانية في فونتينبلو ، بالإضافة إلى مكتبة بلوا ، وفيما بعد انضمت المكتبتان الملكيتان في مكتبة واحدة . وفي عهد فرانسوا الأول بدأ تطبيق قانون الإيداع ، الذي كان أهم مصدر لتزويد المكتبات العامة بالكتب والمخطوطات ، وإلى هذا الملك يعود الفضل في إصدار هذا القرار ، المعروف باسم « النسخة الإلزامية » .

الكتب والمكتبات في عصر الطباعة في أوربا

مع إنتشار التعليم في أوربا وظهور المدارس والجامعات وازدياد عدد المتعلمين ازداد الإقبال على الكتاب والمكتبات ، ولم تعد ورش النسخ كافية لتلبية هذا الإقبال المتزايد بوتيرات سريعة ، ووجد المهتمون أنفسهم أمام مسألتين أساسيتين :

- إيجاد مادة جديدة ورخيصة للكتابة كبديل عن الرقوق ، التي لم تكن بكافية ، والتي كانت غالية الثمن .

- البحث عن حل تكنولوجي للنسخ بحيث يتم بسرعة وبأقل كلفة ممكنة .

ومنذ منتصف القرن الخامس عشر بدأ إنتاج الورق بكميات كبيرة ، وقد تركز إنتاجه في إيطاليا أولاً ومن ثم ظهرت معامله في العديد من البلدان الأوربية .

ومع استعمال الورق في أوربا بدأت الطباعة بالقوالب الخشبية ، التي كانت تقتصر على رسوم القديسين مع بعض النصوص . ولكن هذا النوع من الكتب كان موجهاً للأميين ، وكان قليل الصفحات وبدائياً ومكلفاً ، ومع هذا فقد ظلت الطباعة بالقوالب الخشبية مستمرة حتى بعد اختراع الطباعة بأكثر من نصف قرن .

وهكذا لم تستطع القوالب الخشبية أن تقدم الحل للمسألة الثانية – إنتاج الكتاب بأعداد كبيرة من النسخ خلال فترة قصيرة . ويعود الفضل في ذلك إلى اختراع الطباعة بالأحرف المتحركة على يد غوتنبرغ ، الذي اعتمد على المعادن في تصنيع الحروف ، وكانت باكورة أعماله طباعة كتاب « التوراة » في ١٢٨٠ صفحة (في مجلدين بالحجم الكبير) وذلك في منتصف القرن الخامس عشر .

والواقع أن بعضهم يشكك في ريادة غوتنبرغ للطباعة ، حيث تنسب هذه الريادة إلى بيتر شافر الألماني وإلى الهولندي كوستر وإلى التشيكي بروكوب والدفوغل، والإيطالي بامفيلوكاستالادي .

وبغض النظر عن هوية المخترع وجنسيته فإن الطباعة لم تلبث أن بدأت تنتشر على نطاق واسع وبوتائر سريعة جداً ، وقبل وفاة غوتنبرغ كانت الطباعة قد وصلت إلى إيطاليا ، وراحت تتطور فيها بسرعة بالغة ، واشتهرت مدينة البندقية كمركز للكتاب المطبوع ، وإليها بدأ يتوافد رجال الطباعة من مختلف أرجاء أوربا ، ومن بين هؤلاء اشتهر بخاصة الدومانوسيو ، الذي انكب على طباعة المؤلفات الكلاسيكية اليونانية بالحجم الصغير وبأسعار رخيصة ، مما جعل كتبه تنافس كتب الناشرين الآخرين ، بفضل ذوقه الرفيع وثقافته الواسعة ، وبخاصة في اختيار المؤلفات المناسبة للطباعة ، وبراعته في إخراج الكتاب ، فلا غرابة أن يطلق على نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر اسم مرحلة مانوسيو في تاريخ الطباعة .

أما في فرنسا فقد تأخر ظهور الطباعة وانتشارها نسبياً بسبب معارضة نقابة النساخ وباعة المخطوطات ، التي كانت تحتكر إنتاج الكتاب في باريس ، لكن استيراد الكتاب المطبوع من ألمانيا وإيطاليا لم يلبث أن أضعف مواقع هذه النقابة ، ولم تلبث أول مطبعة أن ظهرت في السوربون على أيدي ثلاثة من الألمان . وبعد سنوات قليلة تحولت باريس إلى مركز مهم لإنتاج الكتاب المطبوع نظراً للإقبال الكبير عليه من قبل الطلاب والمثقفين وهواة جمع الكتب ، وفي البداية كانت الكتب المطبوعة تقتصر على المؤلفات الكلاسيكية ومن ثم بدأت طباعة الكتب الدينية وغير الدينية ، وكانت تطبع باللاتينية ، أما أول كتاب مطبوع صدر بالفرنسية فكان في عام ١٤٧٧ وهو « وقائع فرنسا الكبرى » الذي أصدره الناشر باسكيه بونهوم في ثلاثة مجلدات .

وقد تميز القرن السادس عشر بنشاط أسرة دي فيراري في ميدان الطباعة ، حيث قامت هذه الأسرة بطبع مؤلفات مشاهير الكتاب الإيطاليين ، كما أصدرت السلسلة المعروفة « سلسلة التاريخ اليوناني والروماني » .

هذا في البندقية ، أما في فلورنسا فقد اشتهرت أسرة جونتا ، وأسرة مازوكي في روما . وفي منتصف القرن السادس عشر تأسست في روما مطبعة الفاتيكان ، كما اشتهرت « مطبعة ميديتشي للغات الأجنبية » ، التي كانت تطبع الكتب باللغات الشرقية من عربية وفارسية .

وعلى قاعدة مطبعة ميديتشي أسس البابا أوربان الثامن « المطبعة المتعددة اللغات » ، التي بدأت الطباعة بـ ٢٣ أبجدية ، وفيها تدرب تيسيتا بودوني أشهر طابع وسابك للحروف في إيطاليا ، والذي أطلق عليه لقب « فنان البساطة » .

لكن الطباعة الإيطالية بدأت تفقد أهميتها السابقة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر .

وقد احتلت أسرة أستيين مكانة بارزة بين الطابعين – الناشرين ، فقد تميزت إصداراتها بنوعيتها الجيدة وبالاختيار الدقيق للعناوين ، بما في ذلك طبعات التوراة والمؤلفات الكلاسيكية والمعاجم . وبعد وفاة الأب هنري حل ولده روبير محله . وفي عهده بلغت الطباعة الفرنسية أوج ازدهارها ، حتى إن هذه الفترة – منتصف القرن السادس عشر – تعد بحق العهد الذهبي في تاريخ الطباعة الفرنسية .

وبعد وفاة روبير حل ولده هنري الثاني محله واستمر في إصدار المعاجم ومن أشهرها قاموس « كنز اللغة اليونانية » .

وفي النصف الثاني من القرن ١٨ برزت أسرة ديدو ، التي اشتهرت بالعمل في ميدان الطباعة والنشر ، والتي تميزت بإصداراتها الممتازة للمؤلفات الكلاسيكية والمعاصرة ، وكتبها الرخيصة .

على أن الطباعة في فرنسا لم تقتصر على باريس ، بل وامتدت إلى ليون ونحو ٤٠ مدينة أخرى وأصبحت تنتج ١٥٪ من الكتب المطبوعة في أوربا وتحتل المرتبة الثالثة بعد إيطاليا ٤٢٪ وألمانيا ٣٠٪ .

وفي هولندا كان للسياسة الليبرالية دور كبير في ازدهار حركة الطباعة والنشر. حيث لم يكن ثمة رقابة على النشر لا من قبل الدولة ولا من قبل الكنيسة ، مما جعل الطباعة والنشر يصلان أوجهما الذهبي في القرن السابع عشر . وقد ساعد على ذلك أيضاً جودة الطباعة ، ورخص الكتاب ووجود شبكة توزيع واسعة ، هذا بالإضافة إلى السياسة الليبرالية إزاء الأفكار الجديدة .

كانت مدينة أنتفربن الهولندية مركزاً لصناعة الكتاب ، حيث صدر فيها في القرن السادس عشر أكثر من نصف الكتب المطبوعة في البلاد ، وكان يعمل فيها نصف عدد عمال الطباعة في هولندا ، ومن أشهر الطابعين في أوربا آنذاك كريستوف بلانتين ، الفرنسي الأصل ، الذي عدّت مطبعته الأفضل من حيث جودة الحروف وبراعة الفنانين ، والذي أصدر « التوراة » بعدة لغات في ثمانية مجلدات ضخمة ، هذا بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الكلاسيكية في العديد من مجالات العلوم ، كما طبعت فيها الأطالس والأعمال الموسيقية . وقد ضمت مطبعته ١٦ آلة طابعة ويقال إن هذا العدد وصل إلى ٢٢ آلة ، وفيما بعد تأسس في هولندا متحف « بلانتين – مورتوس » ، ويعد الأفضل من بين متاحف تاريخ الطباعة في العالم .

وبعد أفول نجم كريستوف بلانتين بزغ نجم أسرة جديدة – أسرة الزفير ، التي أسسها لودفيك ، وعمل أفرادها في مجال الطباعة والنشر والتوزيع . وأصبحت الكتب الصادرة عن مطابعها في الطليعة من حيث الدقة والجمال والأسعار الرخيصة بالإضافة إلى المضمون الجيد ، ويقدر عدد الكتب التي أصدرتها هذه الأسرة بـ ٥٠٠٠ كتاب .

وهناك أسرة بلو ، التي تخصصت في نشر الخرائط والأطالس ، حيث نشرت « الأطلس العام » في ١١ مجلداً ، وقد ترجم إلى الألمانية والفرنسية والاسبانية ، وكان الأفضل من نوعه ، لا بل إنه لايزال مرجعاً مهماً حتى يومنا هذا .

وفي إنكلترا كان وليم كاكستون ، تاجر الصوف السابق ، أول من عمل في ميدان الطباعة ، حيث تعلم هذه المهنة في ألمانيا ، وفي لندن أسس مطبعته الشهيرة ، ثم راح يهتم بتطوير شبكة التوزيع ، وسرعان ما انتشرت الطباعة في المدن الإنكليزية ، بفضل جهود الطباعيين الألمان ، ففي الربع الأخير من القرن الخامس عشر أسس تيودور رود الألماني أول مطبعة في مدينة أوكسفورد الجامعية .

غير أن القيود المفروضة على حرية الطباعة وقفت حجر عثرة في طريق تطور الطباعة في إنكلترا ، فكان الناشرون الإنكليز يطبعون كتبهم في البلدان الأخرى ، و لم يكن بوسع الناشر أن يصدر أي كتاب إن لم يكن عضواً في نقابة الطابعين التي تأسست عام ١٥٥٧ .

وهكذا فلم تشهد إنكلترا نهضة طباعية حقيقية إلا في القرن الثامن عشر ، حيث وصلت مستوى الطباعة الأوربية ، لا بل وتفوقت عليها في بعض التفاصيل ، وذلك بفضل سباك الحروف الشهير وليم كسلون ومعاصره جون باسكرفيل . فقد صنع هذان السباكان أجمل الحروف وأسس الأخير مسبكاً للحروف ومعملاً للورق ومطبعة خاصة ، لاتزال حروفها محفوظة حتى اليوم في كمبردج .

ثالثاً – المكتبات الوطنية في أوربا :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر ولادة علم جديد هو علم المكتبات ، الذي يؤرخ له بصدور « قواعد بانيزي » ، وهي أول قواعد للفهرسة في العالم . وراح العلم الجديد يتطور بوتائر سريعة ، كما تطورت قواعد التنظيم والفهرسة وخدمة القراء . وتأسست الجمعيات المكتبية (جمعية المكتبات الأمريكية) وظهر عدد من الباحثين البارزين في هذا العلم أمثال ملفيل ديوي ، الذي وضع تصنيفه المعروف ، وأسس أول مدرسة لتدريس علم المكتبات في جامعة كولومبيا . وفيما بعد زاد عدد الجامعات الأمريكية ، ذات الأقسام المكتبية ، على المئة ، ثم بدأ هذا العلم يدرس في العديد من جامعات العالم الأخرى مثل ألمانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي السابق ، حيث يوجد زهاء ٥٠ جامعة ومعهداً تدرس علم المكتبات ، وتمنح الدرجات العلمية فيه .

ولايزال هذا العلم – شأنه شأن العلوم الأخرى – يتطور ويتحسن ، وبخاصة بعد دخول الكومبيوتر ميدان المكتبات ، مما أحدث ثورة حقيقية في عالم المعلومات .

ولا شك أن هناك صلة متبادلة بين التقدم العملي وظهور المكتبات وتطورها ، فمع ولادة أوربا الحديثة تبدأ مرحلة تأسيس المكتبات الوطنية والجامعية ، وتوضع الأسس العلمية لتنظيم عمل المكتبات .

ولما كانت ألمانيا هي أغنى بلد أوربي فقد كانت السباقة إلى دخول النهضة المكتبية ، وكانت المكتبة الملكية ، التي أسسها الامبراطور مكسيمليان في نهاية القرن

الخامس عشر ، غنية بالمخطوطات والكتب القديمة المزينة بالرسوم الفنية النادرة ، وفيما بعد لم يعد الأمراء يهتمون بالنواحي الفنية بقدر اهتمامهم بموضوع الكتاب ، وفي مطلع القرن السادس عشر تأسست في ألمانيا المكتبة العامة على يد الأمير فريدريك الثالث ، الذي حرص على تزويدها بالكتب في مختلف مجالات المعرفة .

وفي ميونيخ تأسست المكتبة الملكية ، التي توسعت في بداية القرن التاسع عشر ، بعد أن رفدت بكتب ١٥٠ مكتبة من مكتبات الأديرة ، ولاتزال أغنى مكتبة في ألمانيا.

أما مكتبة البلاط في هايدلبرغ فقد قام الامبراطور مكسيمليان بتقديم أفضل محتوياتها هدية إلى مكتبة الفاتيكان وقدرت بـ ٣٥٠٠ مخطوط منها ٤٣٠ باليونانية و ٨٤٦ بالألمانية و ٣١٨ بالفرنسية وهذه ثروة كبيرة لا تقدر بثمن .

وفي منتصف القرن السابع عشر أسس الدوق أوغست الصغير المكتبة المعروفة باسمه ، وشارك في تنظيمها فوضع لها فهرساً ألفبائياً بحجم ٤٠٠٠ صفحة ، وبعد عدة سنوات أصبحت من أكبر المكتبات الألمانية (١٦٠ ألف مجلد) . ويعود الفضل في تطورها إلى جهود أمينها العالم وهيلم لايبنس ، الذي فتح أبوابها أمام القراء ، ووضع لها فهرسين : ألفبائياً وموضوعياً ، ودعا في مقالته « تأملات حول الأسلوب الأفضل لإصلاح المكتبات » ، إلى تأسيس المكتبات وإغنائها وتنظيمها ووضعها في متناول الجميع ، لما لذلك من دور كبير في تطور المجتمع وتقدمه .

ومع بداية القرن الثامن عشر شيد لايبنيس بناءً ضخماً للمكتبة على نمط البانتيون في روما القديمة . وكان ذلك أول بناء يشيد خصيصاً لمكتبة في أوربا منذ العصور القديمة .

وفي نهاية القرن السادس عشر فتحت المكتبة الملكية لآل هابسبرغ أبوابها للعامة، بعد أن تولى إدارتها هو غوبلوتوس ، الذي وضع فهارسها (الفهرس الألفبائي في خمسة مجلدات ثم فهرس المخطوطات) ، وهي اليوم من أغنى مكتبات العالم من حيث عدد الكتب القديمة (٧٨٣٧ كتاباً) والمخطوطات (٣٥ ألف مخطوط) .

وإلى جانب ذلك فقد ازدادت أهمية المكتبات الجامعية ، ومن أشهرها تلك التي تأسست في غيتنغن في النصف الأول من القرن الثامن عشر . وكانت لها ميزانية سنوية

لاقتناء الكتب الجديدة اللازمة للبحث العلمي وللطلاب . وكانت مفتوحة لكل الراغبين ، الذين يحتاجون إلى المراجع العلمية ، ومنظمة حسب أحدث الطرائق آنذاك ، وبخاصة حسب مفهوم لايبنيس لعلم المكتبات مما جعلها تعد واحدة من أهم المكتبات في ذلك الوقت .

وفي إيطاليا أيضاً بدأ عدد المكتبات يزداد ، وتطورت مكتبات الأمراء والجامعات والمكتبات الخاصة بفضل جهود ونشاط هواة جمع الكتب والمخطوطات القديمة ، والواقع أن الفضل في ظهور المكتبات العامة في إيطاليا يعود إلى مبادرات فردية، لا إلى جهود الدولة . ففي بداية القرن السابع عشر أسس العالم الجليل روتا أول مكتبة عامة في روما . ثم أسس الكاردينال كازاناتا مكتبة أخرى عرفت باسمه ، وفتحت أبوابها للعامة في مطلع القرن الثامن عشر ، ولم تلبث أن أصبحت من أكبر وأهم المكتبات العامة في روما .

وإلى أحد هواة جمع الكتب - أنطونيو ماليابيكي - يعود الفضل في تأسيس « المكتبة المركزية » التي لاتزال قائمة في فلورنسا .

كان ماليابيكي أكبر خبير في شؤون المكتبات في إيطاليا في القرن الثامن عشر ، وقد أهدى مكتبته الخاصة (٣٠ ألف مجلد) لمدينته فلورنسا ، وفتحت أبوابها للعامة في منتصف القرن ، وبعد عشر سنوات انضمت إليها « مكتبة البلاط » من هايدلبرغ، التي تلقتها مكتبة الفاتيكان كهدية في بداية القرن السابع عشر ، وهكذا ظهرت (المكتبة الوطنية المركزية) التي تحتوي على ٤ ملايين كتاب و ٢٤ ألف مخطوط و ٣٦٥٥ من الكتب المطبوعة القديمة .

وفي بداية القرن السابع عشر أسس الكاردينال بوروميو « مكتبة الامبروزيانا » نسبة إلى القديس أمبروز ، في ميلانو ، ووضع نظامها الداخلي ، الذي يحدد عملها ، وجعلها مكتبة عامة ومركزاً للنشاط العلمي ، واقتنى الكثير من المخطوطات النادرة من ألمانيا وإسبانيا ومصر وتركيا ، مما رفع عدد هذه المخطوطات إلى ٣٥ ألفاً ، باليونانية واللاتينية والفارسية والعربية من العصرين القديم والوسيط ، بما فيها أجزاء من « الأليادة » (من القرن الرابع) ونسخة من « الكوميديا الإلهية » (القرن الرابع عشر)

وعدة مخطوطات لليوناردو دي فينشي . ولاتزال « مكتبة الامبروزيانا » من أغنى المكتبات في العالم ، وبخاصة بالمخطوطات النادرة ، المزدانة بالرسوم .

أما **فرنسا** فقد بلغت النهضة المكتبية فيها شأناً عظيماً في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، ففي هذه الفترة كانت تعيش في باريس مجموعة من العلماء الموسوعيين، الذين كانت طبيعة أبحاثهم تتطلب وجود مكتبات غنية ومنظمة .

وفي طليعة هذه المكتبات كانت « المكتبة الملكية » ، التي كان يهتم بها الوزير كولبر ، أحد أشهر هواة جمع الكتب في أواسط القرن السابع عشر ، فقد كانت لديه مكتبته الخاصة ، الغنية بالمخطوطات القروسطية والشرقية ، زادت على ١٥ ألف مخطوط ، بالإضافة إلى الكتب المطبوعة القديمة . ومنذ الثورة الفرنسية أصبحت هذه المكتبة تعرف باسم « المكتبة الوطنية » ، التي يزيد عدد ما فيها اليوم على ستة ملايين مجلد ومئتي ألف مخطوط ، ويرتادها زهاء ألف قارىء يومياً ، يستفيدون من حوالي مليون كتاب في العام ، علماً أن عدد الموظفين والمتخصصين فيها يزيد على الألف ، وتساهم في تطوير علم المكتبات من خلال إصدار مجلة « البيليوغرافيا الفرنسية » .

ومن المكتبات الكبرى الأخرى في فرنسا اشتهرت مكتبة الوزير مازارين ، الذي عرف بولعه بجمع الكتب ، والذي حول مكتبته إلى مكتبة عامة في منتصف القرن السابع عشر ، وفيها ١٢ ألف كتاب و ٤٠٠ مخطوط . ومما ساهم في تطور « مكتبة مازارين » أن إدارتها وضعت تحت إشراف العالم المكتبي غابرئيل نوده ، صاحب كتاب « طريقة تنظيم المكتبة » ، الصادر عام ١٦٢٧ ، والذي يحدد أسس المفهوم الجديد للمكتبة العامة ، بحيث توضع في خدمة العلم وبالتالي لا بد من رفدها بكل المراجع ومن اعتماد التصنيف المنطقي والمبسط على أساس الموضوعات .

والواقع أن نوده أول من صاغ نظرية تنظيم علم المكتبات الحديث ، وكان لكتبه تأثير كبير في فرنسا وفي بقية البلدان الأوربية ، فقد ترجم إلى الإنكليزية واستفاد منه لايبنس في صياغة أفكاره حول دور المكتبة في المجتمع .

وبفضل جهود نوده لم تلبث « مكتبة مازارين » أن أصبحت أهم مكتبة في فرنسا من حيث تنظيمها النموذجي وعدد كتبها ، الذي زاد على ٤٥ ألف مجلد .

غير أن ابتعاد مازارين عن السلطة أدى إلى إلحاق ضرر كبير بالمكتبة ومحتوياتها ؛ فقد بيع الكثير من كنوزها ، وما إن عاد مازارين إلى السلطة حتى قام بإحياء مكتبته وفتحها للعامة في نهاية القرن السابع عشر ، حيث لاتزال من أشهر المكتبات في فرنسا.

وهناك مكتبة دير سان جيفيف « ومكتبة أرسينال » اللتان لعبتا دوراً كبيراً في تطور الثقافة الفرنسية .

وفي إنكلترا اشتهرت مكتبة أوكسفورد القديمة ، التي يعود تأسيسها إلى بداية القرن الرابع عشر ، واغتنت بخاصة في منتصف القرن الخامس عشر ، بعد أن وهبها الدوق همفري عدداً كبيراً من المخطوطات النادرة ، لكن الحروب والنزاعات أدت إلى ضياع محتويات هذه المكتبة في منتصف القرن السادس عشر . غير أن الدبلوماسي توماس بودلي قرر إحياء هذه المكتبة وجعلها في متناول المتعلمين ، وتمكن خلال فترة قصيرة من رفدها بـ ٢٥٠٠ كتاب ، وفتحها للعامة مع بداية القرن السابع عشر . ومنذ ذلك الحين بدأت المخطوطات والكتب القديمة تتدفق على المكتبة على شكل هبات أو عن طريق الشراء ، بما فيها مجموعة جون سلدن من المخطوطات اليونانية والشرقية وعددها ثمانية آلاف . ومما ساعد على إغناء هذه المكتبة حصولها منذ بداية القرن السابع عشر على حق النسخة الثانية الإلزامية من كل كتاب يطبع في إنكلترا ، وتأتي اليوم في المرتبة الثانية في البلاد ، وتصنف ضمن أغنى مكتبات العالم بالكتب (٢٫٥ مليون كتاب) والمخطوطات النادرة . وتقديراً لجهود بودلي فقد أطلق اسمه عليها ، ولاتزال تحمل اسم مكتبة بودلي حتى يومنا هذا .

أما **لندن** فإن فكرة تأسيس مكتبة فيها تعود إلى القرن السادس عشر ، لكنها لم تتحقق إلا مع بداية القرن الثامن عشر ، حين قام جون كتن بتقديم مكتبة جده الغنية بالمخطوطات هدية إلى الأمة ، وبعد أن اشترى البرلمان مكتبة السير جورج سلوانت ، الغنية بالمخطوطات والكتب النادرة (٣٥٠٠ مخطوط و ٤٠ ألف كتاب مطبوع) ، وحتى منتصف القرن الثامن عشر رفدت هذه المكتبة بمحتويات مكتبات ومجموعات أخرى ، بما فيها كتب « المكتبة الملكية » . وفي سنة ١٧٥٩ فتحت أبوابها للعامة تحت اسم « مكتبة المتحف البريطاني » ، حيث كانت تضم ١٣٢٠٠ مخطوط

و ٥٧ ألف كتاب ، وهي اليوم واحدة من أغنى مكتبات العالم – أكثر من ٧ مليون كتاب – بالإضافة إلى عدد كبير من المخطوطات والوثائق الأخرى .

أما في روسيا فقد كانت المكتبات الكبيرة قليلة نسبياً ، وقد ظهرت أول مكتبة علمية ضخمة في بطرسبورغ في بداية القرن الثامن عشر ، وبعد سبعين عاماً على تأسيسها أصبحت تحصل على النسخة الإلزامية .

وفي نهاية القرن الثامن عشر تأسست « المكتبة الامبراطورية » في المدينة نفسها وذلك من الكتب التي نهبت من المكتبة الوطنية البولونية المعروفة باسم « مكتبة زالوسكي » ، هذا بالإضافة إلى ما اشترته الامبراطورة كاترين الثانية من كتب مكتبتي ديدرو وفولتير .

أما مكتبة لينين الحالية فقد تأسست في منتصف القرن التاسع عشر ، ولم تضم آنذاك سوى ٣٠ ألف كتاب وحوالي الألف مخطوط ، أما اليوم فيزيد رصيدها على الثلاثين مليوناً ، ويزيد عدد روادها على الـ ١٠ آلاف يومياً ، وتقدم لهم زهاء ١٥ مليون كتاب سنوياً ، وفيها أكثر من ٢٠ قاعة مطالعة ضخمة ، ولها العديد من الفروع في العاصمة الروسية . وهي بالإضافة إلى ذلك تساهم في تطوير علم المكتبات وأبحاثه ، حيث تصدر عدداً من المجلات المتخصصة مثل « مكتبات الاتحاد السوفييتي » و « علم المكتبات والببليوغرافيا في العالم » .

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فإن المكتبات لم تظهر فيها إلا في فترة العصور الحديثة ، كما هو بدهي ، فالقارة الأمريكية ، كما هو معروف ، لم تكتشف إلا في نهاية القرن الخامس عشر ، ومن أهم المكتبات الأمريكية ، التي لا تزال قائمة حتى يومنا هذا ، مكتبة الكونغرس ، في مدينة واشنطن والتي يعود تأسيسها إلى عام ١٨٠٠ ، أما تسميتها هذه فتعود إلى أنها تأسست أصلاً من أجل خدمة أعضاء الكونغرس الأمريكي ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى مكتبة وطنية مركزية لعموم الولايات الأمريكية ، وأصبحت من أكبر المكتبات في العالم ، حيث يزيد رصيدها من الكتب والمخطوطات والدوريات على الـ ٥٠ مليوناً . ومنذ بداية القرن الجاري عمدت إلى الإشراف على إصدار طبعات تصنيف ديوي ، كما تصدر المجلات المتخصصة في علم المكتبات والفهارس الببليوغرافية المختلفة .

الفصل الخامس
المكتبات في العصور الحديثة

الطباعة في الوطن العربي

اكتشافها ، إنتشارها

يعود الفضل الأول في إكتشاف الطباعة إلى الصينيين الذين كانوا من أوائل الأمم التي أتقنت فن الطباعة باستخدام القوالب الخشبية ، وأول من أنتج الكتب المطبوعة ، حيث كان أقدم كتاب مطبوع على هذه الطريقة بعنوان « دربة البوذية » الذي احتوى على مجموعة من الحكم والأمثال الصينية ، وفي القرن السادس الميلادي كانت الصفحة المراد طبعها تكتب بحروف مقلوبة ، ثم تلصق على لوح خشبي مصقول ، بعد ذلك تحدد وتحفر وفق هذه الحروف على الخشب ، ومن ثم يوضع الحبر عليها وتقلب على الورق المراد طبعه ويضغط عليه بوساطة اسطوانة فتظهر الحروف مطبوعة عليه .

ويعتقد بعض المؤرخين أن هذه الألواح الخشبية كانت موجودة عند الصينيين قبل أوربا بفترة ليست بقصيرة .

كان تطور الطباعة فيما بعد كخطوة متقدمة وهي إيجاد حروف معدنية متحركة وبخاصة النحاس لإنتاج حروف متحركة ، يعود الفضل للمكتشف الألماني يوحنا جوتنبرغ (١٣٩٨ - ١٤٦٨) كان كثير الاهتمام بالقراءة والكتب ، تتلمذ على يد طابع للكتب بالقوالب الخشبية ، ثم في مصنع للمناظير ، بعدها بدأ يعمل سراً في اختراع الطباعة المتحركة حتى عام ١٤٥٦م ، قام بطبع كتابه المشهور « التوراة ذات الاثنين والأربعين سطراً » في مدينة ماينز الألمانية ، كان ذلك بمساعدة صديقهُ وشريكهُ بطرس سويفر وفونست .

أما الطباعة ودخولها إلى البلدان العربية فقد تأخرت عن بداية ظهورها في أوربا وذلك لظروف عديدة وأسست في القطرين السوري واللبناني من قبل بعض الطوائف المسيحية من أجل نشر الأفكار الدينية والطائفية بين أوساط الطائفة المارونية في لبنان التي كانت قائمة في لبنان ، الذي يعد البلد العربي الأول في معرفة الطباعة وأسست المطبعة لتكون أداة تنشيط الشعور الطائفي بين السريانيين والكلدانيين ونشر الآراء الدينية التي كانت سائدة في ذلك الوقت .

أول مطبعة في لبنان كانت باسم « دير قزحيا » وهي أقدم الأديرة ، تقع جنوبي طرابلس . حيث يعود تاريخ انشائها إلى العقد الأول من القرن السابع عشر ، وأول كتاب صدر عن هذه المطبعة هو كتاب « المزامير » الذي طبع سنة ١٦١٠، وكان باللغة السريانية والكرشونية .

وفي سورية بادرت الطائفة الأرثوذكسية بتأسيس أول مطبعة عربية بحلب سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م ، ثم تلاها المسلمون في سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٦م بإنشاء مطبعة بالحرف العربي في استانبول ، وكان ذلك أثناء الحكم العثماني كانت هذه بحد ذاتها إحدى الدلالات لتطور المجتمع العربي ودخوله مرحلة جديدة من الآراء والأفكار المتطورة والتي أخذت أبعاداً أكثر من الترويج للدين ونشره ، وتوسعت فيما بعد في طبع الكتب العلمية والأدبية والتاريخية .

كانت أقدم مطبعة حكومية في القطر السوري (المطبعة والجريدة الرسمية) والتي بعد من أقدم دور الطباعة في الوطن العربي .

أنشئت مطابع أخرى مهمة مثل مطبعة « جريدة الأيام » في دمشق سنة ١٩٢٧، في فترة ما بين الحربين العالميتين ، وعرفت سابقاً باسم مطبعة «بابيل اخوان» طبعت فيها صحف عديدة منها جريدة « الرأي العام » ، وفي سنة ١٩٣٦ أسس محمد هاشم الكتبي وشركاهُ المطبعة الهاشمية ، من أجل طبع الكتب الدراسية والخرائط الملونة بعد أن طبعت المصاحف .

أما في مصر فكان للحملة التي قام بها نابليون بونابرت وسميت بالحملة الفرنسية كان لها أثرها الإيجابي في مجال الطباعة ، حيث جلبت مطبعة أجل استخدامها أثناء الحملة عام ١٧٩٨ ، وهذه المطبعة كانت تستورد من مسابك الحروف في إطاليا ، أرجعت مع رحيل الفرنسيين عن الأرض المصرية عام ١٨٢١م .

وأول مطبعة مصرية كانت مطبعة بولاق في سنة ١٨١٩ بإدارة نقولا مسابكي بالإضافة إلى مطابع أخرى دامت حتى سنة ١٨٤١ مثل مطبعة الطب في أبي زعبل وهي مطبعة رسمية أنشئت بعد مطبعة بولاق .

قامت الطباعة الرسمية في مصر بدور مهم وكبير للفترة من ١٩٤٠ - ١٩٥٢ حيث تقدمت تقانياً وتعلمها الكثير من المصريين ، وقامت بدورها في خدمة الوطن

والمواطن مطـابع دار المعـارف وتوعيـة الأفـراد منـذ الطفولـة وحتـى الشباب ، حيث خصصت مجلة للأطفال منذ سنة ١٩٥٢م وبالصور الملونة .

أمـا في العـراق كـانت أول مطبعـة هـي دار السـلام في بغـداد أسسـت عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م كان مصيرها كما هـو الحـال في مصـير زميلاتهـا من مطـابع لبنان وسوريا هو الإغلاق بعد أن طبعت كتاب بعنوان « دوحـة الـوزراء » ، كذلـك مطبعة كربلاء الحجرية والتي يعود فضل إنشـائها إلى أحـد كبـار رجـال بـلاد فـارس . امتازت كتب هذه المطبعة بأنها كانت تخص أعمال التجارة والأدعية الدينية وأشهر مـا طبع كان بعنوان « مقامات الألوسـي » بتـاريخ ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م . وتوقفـت قبـل الحرب العالمية الثانية .

أول صحيفة رسمية صدرت في بغداد سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م سميت «بالزوراء» نسبة إلى مطبعة الزوراء التي أنشأها مدحت باشـا . واسـتقدمت لها الأدوات الطباعيـة من باريس مـع مطبعـة حجريـة تـدور بالبخـار ، كـان مديرهـا الشـاعر جميـل صدقـي الزهاوي ، حتى أصبحت هذه المطبعة من أكبر المطابع في العراق .

المكتبات في العصور الحديثة

منذ العصور القديمة تنوعت المكتبات وعلاقتها بالمؤسسات الإدارية والحكومية والملحقة بالمعابد . كما هو الحال في العصر الإسلامي وبخاصة في زمن ازدهار الثقافة والعلم والأدب والأدباء حتى وصل عددها العشرات في المدينة الواحدة مثل بغداد والموصل . وانتشرت تجارة الورق والكتب بين البلدان وزخرت المكتبات بالمخطوطات الثمينة المزخرفة والمذهبة والمصورة برسومات تحكي الموضوع وتصورهُ إما بالنباتات والزهور أو برسوم الحيوانات والطيور . حتى أصبح الكتاب يجذب القارئ المتشوق لقراءته واقتنائه من الناحيتين الفكرية والجمالية التي تنمي الذوق الرفيع .

وفي العصور الوسطى ابتكرت طريقة التصوير اليدوي ومن ثم الطبع والاستنساخ مما شجع على ظهور الصحف والدوريات والمقالات العلمية .

تطورت المكتبات وأساليب عملها وخدماتها في العصر الراهن ، حسب أوضاع البلدان السياسية والاجتماعية والثقافية وانعكاس لتطور المجتمعات والوعي لدى الأفراد مع الاختلاف من قطر إلى آخر . على اعتبار أن المكتبات هي المرآة التي تعكس تطور وازدهار الأدب والعلم والفن والثقافة ، وفي الوقت نفسه وصلت البلدان إلى مرحلة متقدمة من التطور ، ولكن تتفاوت درجات هذا التطور من بلد إلى آخر وحتى في البلد الواحد نفسه ، ويكمن السبب إلى اهتمام المسؤولين بهذا الجانب بالإضافة إلى وجود أسباب أخرى منها الحالة الاقتصادية والسياسية والثقافية فيه ارتباطاً بهذا الجانب كانت دراسة المكتبات هي الأخرى تتفاوت كعلم ومناهج من بلد إلى آخر ، ففي حين بدأت الجمهورية العربية المصرية ، العراق ، وتونس في أوقات سابقة حتى وصلت إلى دراسة الدكتوراه في علم المكتبات ، توجد أقطار أخرى بدأت في وقت متأخر

بإدخال هذه الدراسة ضمن الدراسات الأكاديمية ، ولكن أغلبها كان قد مر في مرحلة من التدريبات والدورات المكتبية ، وجميع هذه الدراسات ليست على مستوى واحد من الأسلوب أو المناهج .

خلاصة القول يمكن عد المكتبات المتعددة الأنواع هي : العامة ، والوطنية والجامعية ، والمتخصصة ، والمدرسية ، جميعها تصب في مجرى واحد وهو إعطاء الأهمية الكبرى لأي مجتمع وبخاصة في مجال البحث العلمي وما يحتاجه ذلك البلد في بناء مستقبل أفضل لشعبه .

المكتبات في سوريا

كان للمجتمع السوري الدور الكبير في ازدهار الثقافة والأدب والعلم ، وهي من أبرز مظاهر القرن العشرين ، وظهر رجال الفكر والمعرفة والأدب وذلك أثناء الحكم العثماني على سورية ، ونشوء الوعي الوطني والقومي نساءً ورجالاً ، حيث شكلت الجمعيات الأدبية والثقافية والسياسية لتخدم الوطن واستقلاليته من أي حكم أجنبي ، ثم صدور الصحف والمطالبة من خلالها بإنشاء المدارس وتعميم التعليم ، وتجاه هذه المواقف الوطنية في حينها ، كان هناك طريق واحد يجب على الحكومة اتخاذهُ ألا وهو الموافقة على إنشاء المدارس والجامعات سنة ١٩٠٣ ، مثل كلية الطب والحقوق ، وكانت البداية لتكوين مكتبات جامعية بالإضافة إلى وجود مكتبة الظاهرية العامة في دمشق .

يوجد الآن في سورية أنواع من المكتبات هي :

١ - مكتبة عامة (دار الكتب الوطنية الظاهرية) .

٢ - مكتبة وطنية مكتبة الأسد .

٣ - مكتبة متخصصة مكتبة كلية الطب والصيدلة ... وغيرها .

٤ - مكتبة جامعية مكتبة الآداب والتربية والحقوق ... الخ .

٥ – مكتبة المدارس مكتبة كل مدرسة .

٦ – مركز الوثائق التاريخية .

سوف نركز الحديث عن النوعين الأولين لأنهما يعدان من أهم المكتبات .

١ – دار الكتب الوطنية الظاهرية :

تعد هذه المكتبة من أقدم ما وجد حالياً في العصر الراهن حيث يعود تاريخ تأسيسها إلى ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م ، وسميت الظاهرية نسبة إلى مؤسسها الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي النجمي .

وكان أول من عمل على تطويرها هو الشيخ طاهر الجزائري ، حيث قام على تأسيسها وتحويل هذه الدار التي بنيت أساساً لتكون داراً أو مدرسة للملك الظاهر إلى خزانة كتب الظاهرية ، عندما كان الجزائري يشغل منصب مفتش معارف ولاية سورية في سنة ١٢٩٦م .

جمعت هذه المكتبات التي عدت في العهد التركي من أكبر المكتبات في الشام لاحتوائها على المجاميع القيمة من المخطوطات والكتب النادرة وسميت بالمكتبة العمومية، ومن بعدها دار الكتب العربية ، ومن ثم سميت المكتبة الأهلية الظاهرية ، وتحت إشراف (جمعية المكتبة العمومية) وذلك سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٠م . جمعت من عشر خزانات ومكتبة وهي :

١ – المكتبة العمرية	٢ – مكتبة الأوقاف	٣ – مكتبة بيت الخطابة
٤ – المكتبة المرادية	٥ – مكتبة الخياطين	٦ – مكتبة الياغوشية
٧ – مكتبة الملاعثمان الكردي	٨ – المكتبة المرادية	٩ – مكتبة عبد الله باشا

١٠ – المكتبة الشميصانية

في سنة ١٩١٩ ألحقت هذه الدار التي تقع في منطقة قرب سوق الحميدية شمال الجامع الأموي ، والتي تعد من الأبنية القديمة والأثرية ، حيث بنيت من واجهتين متقابلتين مزخرفتين بالأحجار والفسيفساء والنوافذ القديمة ، وأصبحت ملحقة بديوان

المعارف ، ولما استقل المجمع العلمي العربي عن ديوان المعارف وضعت المكتبة تحت إشرافه وسن لها نظام داخلي خاص ، يحدد فيها الأقسام والمديريات والمهمات التي يجب تنفيذها ، مع قوانين تخص مواعيد المطالعة وشروط الإعارة الداخلية والخارجية، ولكن بعد عدة سنوات وضع نظام داخلي جديد من قبل مجمع اللغة العربية وأقرته وزارة التعليم العالمي .

أقسامها :

تتضمن أربع أقسام أساسية وهي :

١ – قسم المطبوعات ٢ – قسم المخطوطات

٣ – قسم الدوريات ٤ – قسم التصوير

١ – قسم المطبوعات :

ويكون مسؤولاً عن محتويات المكتبة من كتب مطبوعة عربية وأجنبية ، كما يقوم بتسجيل وتصنيف وفهرسة الكتب وإعارتها خارجياً وداخلياً (سابقاً) والعمل على فهارس خاصة بالمؤلفين والعناوين والمواضيع ، بعد إعداد البطاقات الخاصة بها ، وفق خطة تصنيف قديمة وضعها الدكتور يوسف العش المختص سابقاً في تنظيم المكتبات وطبق لأول مرة هذا النظام عام ١٩٣٧ ، وهذه الطريقة هي أن المواضيع توزع حسب الأرقام من ١ – ٥٣ ، ويبدأ من العلوم الدينية وينتهي بالعلوم الاجتماعية.

وأجريت تعديلات على هذا النظام بالإضافة أرقام فرعية للمواضيع الخاصة بالعلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية الحديثة واعتماد طريقة المصنفات وهي أوراق سائبة .

ويوجد فهرسان بالمكتبة : الأول فهرس موضوعي مرتب أبجدياً والثاني فهرس للمؤلفين مرتب هجائياً .

والآن أصبح التصنيف حسب طريقة ديوي العشرية الموضوعية . كما يتم حالياً العمل بفهرسة الكتب وذلك بثلاث بطاقات لكل كتاب وهي :

١) بطاقة المؤلف ٢) بطاقة العنوان ٣) بطاقة الموضوع

٢ – قسم المخطوطات :

يعد هذا القسم من الأركان المهمة جداً سابقاً والمقصود هنا قبل افتتاح مكتبة الأسد الوطنية ، التي حوّل إليها الكثير من هذه المجاميع من المخطوطات القيمة لحفظها وصيانتها باعتبارها من التراث القومي .

تأسس هذا القسم سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م ، مع تأسيس هذا الدار .

بلغ مجموع المخطوطات ١٣ ألفاً من أهم ما كتب قديماً وفيها الكثير من النوادر مثل (مخطوط مسائل الإمام أحمد بن حنبل) نسخ عام ٢٦٦هـ ، وكتاب (المختلف والمؤتلف) للأزدي نسخ عام ٤٨٩هـ ، كما ضم هذا القسم مواضيع متعددة في جميع جوانب المعرفة والعلوم .

أنشيء في هذا القسم فهارس خاصة بالمخطوطات وهي فهارس بأسماء المؤلفين وآخر بالعناوين وطبع الكثير من هذه المخطوطات في فهارس مطبوعات قام بها مجمع اللغة العربية في دمشق وضمت مواضيع متنوعة وذات فهرسة موضوعية لكل مخطوط . تتضمن المعلومات الأساسية عن كل مخطوطة مثل العنوان / اسم المؤلف ، الخط ، نوع الورق ، عددها ، وتعار هذه المخطوطات إعارة داخلية ويطلب من مدير المكتبة .

مثال :

١) العشي ، يوسف .

فهارس مخطوطات دار الكتب الوطنية : التاريخ وملحقاته / وضع يوسف العشي – دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٤٧ . – ٤٩٠ ص ؛ ٢٥ سم .

٢) حسن ، عزة .

فهرس مخطوطات دار الكتب الوطنية : الشعر / وضع عزة حسن – دمشق مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٤ . – ١٤٣٦ ص ؛ ٢٥ سم .

٣) حمارنة ، سامي ، دار الكتب الوطنية : الطب والصيدلة / سامي خلف حمارنة – دمشق : مجمع اللغة العربية ، ١٩٦٩ . – ٦٠٠ ص ؛ ٢٥ سم .

٣ – قسم الدوريات :

تجمع فيه الكثير من الصحف والمجلات إن كانت عربية أو أجنبية ، بعد استلامها عن طريق الشراء أو الهدايا وتنظم وترتب حسب العناوين على الرفرف وبتسلسل هجائي ، وقد تم عمل فهارس خاصة بالمجلات . ولكن على شكل ملفات ، تخصص فيها كل ورقة لمجلة معينة تذكر فيها المعلومات اللازمة عنها ترتب هذه الملفات هي الأخرى وفق الحروف الهجائية لأسماء المجلات .

أما قسم الصحف فهو يضم الجرائد الواردة للمكتبة إن كانت محلية أو عربية (القديمة والحديثة) منها جريدة المرصاد ، الشام ، الحياة والجرائد السورية المهمة مثل « ألف باء » ، « الأيام » ، « القبس » ، « بردى » وغيرها . رتبت حسب العناوين .

٤ – قسم التصوير :

يقوم هذا القسم بتلبية احتياجات القراء من باحثين وطلبة في تصوير صفحات المخطوطات أو الكتب ، وفق استمارات خاصة بهذا الطلب بعد دفع رسوم رمزية . كما يستعمل أفلام الميكروفلم أو الفوتوستات .

مكتبة الأسد الوطنية

هذه المكتبة بناية تعتبر من أحدث الأبنية المجهزة بالوسائل التقنية والفنية من أجل انجاز مهامها بسهولة وسرعة وفق ما تتطلبه المرحلة الراهنة والثورة العلمية – التكنيكية وتطور الأبحاث والدراسات وبقية المجالات العلمية والثقافية والفكرية وتراكم المعلومات، حتى أصبح من المتعذر حصر بجاميعها وتنسيقها وتنظيمها وحفظها إلا بمساعدة المختصين وأجهزة الكومبيوتر والمكننة الحديثة .

وبمناسبة وطنية افتتح في دمشق هذا الصرح الثقافي في يوم الجمعة المصادف ١٩٨٤/١١/١٦ من قبل السيد رئيس الجمهورية وفق مرسوم تشريعي رقم ١٧ عام ١٩٨٣ .

تتكون هذه البناية من تسعة طوابق مقسمة إلى مديريات وأقسام وشعب ومستودعات خاصة بالكتب ، ومن أجل تنفيذ المهمات المطلوبة من أي مكتبة وطنية ، وهي جمع وحفظ وصيانة النتاج الفكري للفترات السابقة والحاضرة وحفظها للأجيال القادمة .

كذلك تنفيذ المهمة الكبيرة الثانية وهي خدمة المجتمع من طلبة وأساتذة وباحثين وتسهيل الوصول إلى معلومات حديثة وقيمة في نفس الوقت وتوفيرها لهم .

مهماتها :

ويمكن إيجازها كما يلي :

١ – اقتناء الكتب والمطبوعات بجميع اللغات بالإضافة إلى العربية ، وتوفيرها بعد إجراء عدة عمليات مكتبية وهي :

التسجيل ، الفهرسة والتصنيف ، والتوثيق ، عمل الفيشات ومن ثم ترتيبها في الفهارس .

٢ – اقتناء وحفظ المخطوطات والوثائق الثقافية والتاريخية والأدبية .

٣ – القيام بالبحوث والدراسات وإصدار المطبوعات والدوريات والنشرات .

٤ – إصدار الببليوغرافيا الوطنية والكشاف التحليلي للصحف والمجلات .

٥ – تنظيم الدورات التدريبية في مجال المكتبات لتأهيل العاملين في هذا المجال .

٦ – إجراء الاتصالات والمبادلات مع دور الكتب الوطنية العربية والأجنبية .

٧ – تسهيل الإعارة الداخلية والخدمة المرجعية للقراء والباحثين .

٨ – إقامة الندوات الثقافية والفنية ومعارض الكتب وإقامة المواسم الثقافية للمكتبة .

٩ – إيفاد الموظفين والمعلمين فيها لدورات تدريبية واستطلاعية على المكتبات في الخارج .

إداراتها :

يقوم بالإشراف على أعمال المكتبة :

١ – مجلس الإدارة .

٢ – المدير العام .

وتتبع المكتبة إدارياً وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق ولها ميزانية مستقلة تتبع الموازنة العامة سنوياً .

المديريات الرئيسة :

تتألف هذه المكتبة من مديريات وأقسام وشعب يعمل فيها ٢٥٥ موظفاً وعاملاً، ذوو شهادات جامعية وخريجو الثانوية والمعاهد الأخرى ، بعد أن تم تدريبهم على العمل المكتبي وقواعده من قبل أساتذة مختصين بهذا الجانب وأهم هذه المديريات هي :

آ – **مديرية التزويد والإيداع :** تشرف هذه المديرية على ثلاثة أقسام هي :

أ – التزويد بالمواد المطبوعة وغير المطبوعة ومن عدة موارد منها :

١ – الشراء ، ٢ – الهدايا ، ٣ – التبادل ، ٤ – الإيداع .

وتتضمن الشعب التالية :

١ – شعبة الدوريات ، ٢ – شعبة الكتب ، ٣ – شعبة المواد غير المطبوعة .

ب – قسم الإيداع القانوني : ويتم فيه استلام كتب الإيداع القانوني حسب المادة ١٧ من المرسوم التشريعي لعام ١٩٨٣ .

جـ – قسم التبادل والهدايا : وفيه يتم تنظيم السجلات اللازمة للهدايا والتبادل وإعداد المراسلات الخاصة ، وتسجيل أوعية المعلومات في السجلات الخاصة بكل مادة والعمل بالجرد السنوي وعدد هذه السجلات /٨/ .

٢ – مديرية الفهرسة والتصنيف :

تقوم هذه المديرية بفهرسة وتصنيف المواد الثقافية وجميع أوعية المعلومات الواردة للمكتبة . ووضعها في خدمة القراء والباحثين وتشرف على الأقسام التالية :

١ – **قسم التصنيف** : ومهمته الإشراف على استلام المواد الثقافية من مديرية التزويد ، وتصنيفها وفق تصنيف ديوي العشري « الطبعة العربية الأولى » .

٢ – **قسم الفهرسة** : بعد مرحلة التصنيف يقوم هذا القسم بفهرسة الكتب المصنفة والنظام المتبع هو وفق قواعد الفهرسة (الأنغلو الأمريكية) .

٣ – **قسم إعداد بطاقات الفهارس** : ومهمة هذا القسم الإشراف على إعداد الفهارس العامة للمكتبة والخاصة بالمؤلف ، والعنوان ،والموضوع ، والسلسلة .

٤ – **قسم خلاصة المعلومات** : يعمل هذا القسم على تدخيل المعلومات في جهاز الحاسب الإلكتروني .

٣ – مديرية المخطوطات :

وتقوم بحفظ التراث القديم من المخطوطات والكتب النادرة وجمع هذه المواد ، وتصويرها ، وفهرستها بعد تسجيلها وتنظيمها . وتتضمن قسمين أساسيين هما :

آ – قسم التحقيق والدراسات .

ب – قسم الحفظ .

وتقوم هذه المديرية بعدة نشاطات خاصة بالمخطوطات هي :

١ – التزويد ، ٢ – التسجيل ، ٣ – المستودعات الخاصة بالمخطوطات ، ٤ – الإعارة ، ٥ – الفهرسة والتصنيف ، ٦ – النشاط الخارجي ، ٧ – الكتب النادرة .

٤ – مديرية الإعارة :

ومهمتها الإعارة الداخلية والإشراف على قاعات المطالعة وتهيئتها للقراء . بالإضافة إلى حفظ المواد الثقافية والإشراف على المستودعات والأقسام التابعة لها وهي:

١ – قسم الإشتراكات وغرف المطالعة الفردية .

٢ – قسم المستودعات .

٣ – قسم قاعات المطالعة .

٤ – قسم المكفوفين .

٥ – مديرية التوثيق والاعلام :

مهمة هذه المديرية إعداد البيبلوغرافيا الوطنية السورية لأول مرة منذ عام ١٩٨٤، وتوثيق الكشاف التحليلي ، والرسائل الجامعية وإصدارها في مطبوعات دورية.

وتتالف من قسمين رئيسيين وهما :

١ – قسم التوثيق ، ويشمل دائرتين :

آ – دائرة البيبلوغرافيا السورية .

ب – دائرة الكشاف التحليلي .

٢ – قسم الاعلام ، ويشمل دائرتين :

آ – دائرة المجلة .

ب – دائرة الدراسات .

مع العلم أن القسم الثاني لم يبدأ عمله وذلك لظروف طارئة .

إنجازات وإحصائيات المكتبة :

قامت مكتبة الأسد منذ افتتاحها وتنفيذ مهامها في جمع وحفظ التراث الوطني والقومي وذلك من خلال النشاطات التالية :

١ – جمع المطبوعات بواسطة الشراء والإيداع والتبادل والهدايا للنتاج الفكري داخل القطر وخارجه حتى أصبح عدد الكتب حالياً (٢٨٣٫٨٩٩) من الكتب العربيةوالأجنبية بالإضافة إلى الاطروحات والرسائل الجامعية التي بلغ مجموعها٦٫٩٩٢.

٢ – شراء مكتبات خاصة من الشخصيات المعروفة .

٣ – سحب مخطوطات قديمة من المكتبة الظاهرية بلغ مجموعها ١٩٫٢١٤ مخطوطاً حسب إحصاء ١٩٩٧وكتب نادرة لحفظها وصيانتها وتصويرها .

٤ – فهرسة وتصنيف الكتب والمواد الثقافية وحالياً يجري فهرسة المواد السمعية والبصرية .

٥ – إصدار البيبليوغرافيا الوطنية السورية وتوزيعها على جهات مختلفة وتم إصدار (٦) مطبوعات منها للراجعة و (١٢) مطبوع للبيبليوغرافية الجارية .

٦ – إصدار الكشاف التحليلي لمقالات الصحف والمجالات .

٧ – إقامة المعرض السنوي للكتاب العربي لمدة ١٠ عشرة أيام .

٨ – تدريب الكادر المكتبي على أصول الفهرسة والتصنيف والتزويد .

٩ – تقديم خدمات الإعارة للمشتركين في المكتبة من الطلبة والباحثين .

١٠ – تقديم خدمات التصوير وبطلب من المشترك ولقاء مبلغ رمزي .

١١ – إقامة ندوات عمل حول العمل الأرشيفي وتطويره في البلاد العربية ، والتوثيق وخدمة المعلومات بالتعاون مع منظمة الالسكو ، وندوة ترميم المخطوطات التي أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومعهد المخطوطات العربية – الكويت .

١٢ – على صعيد النشاط الثقافي والمتعدد الجوانب قامت المكتبة بما يلي :

١ – محاضرات ثقافية .

٢ – ندوات ومؤتمرات .

٣ – اجتماعات رسمية وشبه رسمية .

٤ – دورات تدريبية ومساهمة في إقامة افتتاحاتها في المكتبة

أما على الصعيد الترفيهي قامت بما يلي :

١ – عرض أفلام .

٢ – حفلات موسيقية .

٣ – معارض .

٤ – العاب الحاسب الإلكتروني .

المكتبات في العراق

كان العراق مركزاً من مراكز الحضارة والثقافة في بداية العصور الوسطى ، وعُرفت بغداد عاصمة الدولة العباسية بأنها مركز من مركز الثقافة المتعددة آنذاك مثل دمشق في الشام ومكة المكرمة والحجاز والقاهرة في مصر .

ومع دخول هولاكو إلى العراق عام ١٢٥٨ ، فقد تعرضت الثقافة إلى تدهور وخراب شاملين ، بما فيها المكتبات الفخمة ذات المخطوطات الثمينة . يذكر إن قسماً كبيراً منها أحرق وقسماً آخر قد نهب هذا فضلاً عن رمي القسم الكبير من الكتب في نهر دجلة بحيث اصطبغ الماء بالحبر وأصبح لونه غامقاً ، وعاش العراق مرحلة مظلمة لا مثيل لها في ظل الغزوات والاحتلال . فقد عمَّ البلاد الجهل والأمية . وبقي هذا الحال لمدة خمسة قرون مظلمة ، تناولت الحكومات الأجنبية والرجعية بدءاً من الحكم العثماني ومن ثم الاستعمار البريطاني الذي كان شعاره « فرق تسد » وعمَّ البلاد بالظلم والتخلف ، فانتشرت الأفكار القديمة والمتعصبة والآراء الرجعية ، حتى أوائل القرن الحالي كانت هناك شخصيات اجتماعية معروفة من أدباء وعلماء ورجال دين اتصفوا بالوطنية وكانوا على اطلاع ودراية بالثقافات الأخرى وتبني شعارات الحرية والاستقلال ورفض كل ما هو أجنبي . اتخذوا من الأماكن المقدسة والعتبات الدينية ملتقى ثقافياً وسياسياً ودينياً مثال مدينة بغداد والنجف والبصرة .

كانت أهم فترة لانطلاق الحركات الثورية وأبطالها في المساهمة السياسية الوطنية والرافضة لكل ما هو رجعي والذي يعوق حركة التقدم مثل :

تعليم الأطفال ، ورفع حجاب المرأة أي (السفور) ، الندوات الثقافية والمشاركة بالحركات الوطنية مثل ثورة العشرين سنة ١٩٢٠ التي أيدها أفراد الشعب في كثير من المراكز الريفية من الشمال إلى الجنوب ، حتى نال العراق استقلاله في سنة ١٩٢١ بعد نضالات ومعارك خاضها الشعب العراقي من أجل ذلك .

كانت المكتبات عاملاً من العوامل التي ساعدت على التنوير ضد الجهل بأنواعها المتعددة ، حيث وجدت المكتبات الخاصة والعامة والمتخصصة والأكاديمية والمدرسية .

أنواع المكتبات في العراق :

١ - المكتبة الوطنية ، ٢ - المكتبات العامة ، ٣ - المكتبات المدرسية ، ٤ - المكتبات الجامعية ، ٥ - المكتبات المتخصصة ، ٦ - مكتبة الطفل .

١ - المكتبة الوطنية :

تعود مسؤولية هذه المكتبة إلى وزارة الاعلام ، حيث كانت المسؤولة عنها عند افتتاحها ، وبعد جهود كبيرة بذلها السيد نهاد عبد المجيد الناصري في فترة الخمسينات من أجل تكوين مثل هذه المكتبة صدر قانون المكتبات الوطنية رقم ٥١ سنة ١٩٦١ ، وحددت فيه الأهداف المتوخاة وهي جمع وحفظ التراث العراقي والعربي ، وإصدار الببليوغرافية الوطنية والمتخصصة في مجال معين من العلوم والمعرفة ، وجمع الدراسات والبحوث ، لكي تكون هذه المكتبة التي كانت عامة وأساسها مكتبة دار السلام ومكتبة وزارة المعارف هي أول مكتبة وطنية في العراق .

وفي سنة ١٩٦٩ كان صدور قانون المطبوعات رقم (٧١) حدد فيه إلزام المطابع بتقديم نسخة واحدة إلى المكتبة الوطنية وجهات أخرى مثل : المكتبات المركزية في جامعة بغداد والموصل والبصرة . وهي المطبوعات غير الدورية حتى عام ١٩٧٠ صدر قانون الإيداع الذي أكمل القانون السابق وألزم بوصول الدوريات كذلك للمكتبات ، وهو قانون رقم (٣٧) الذي يعين فيه مركز الإيداع القانوني في المكتبة الوطنية في بغداد ويتضمن المواد المشمولة أو التي تخضع لهذا القانون وهي الكتب والنشرات ، والمطبوعات الممنوعة والمجسمات والمنحوتات الفنية والمجلات والأشرطة الصوتية والبصرية والسلايدات الوثائقية والجرائد الرسمية (الوقائع العراقية) والمواد الأخرى . يتم تسليم نسخة واحدة منها أو نسختين حسب المادة المسلمة وتم افتتاح هذه المكتبة عام ١٩٧٧ والتي تقع مقابل وزارة الدفاع في باب المعظم .

بناؤها :

تتألف من طابق أرضي ، وطابقين آخرين بالإضافة إلى قاعة مستقلة تتسع لثلاثمائة شخص . بالإضافة إلى ثلاث حجرات مخصصة للترجمة الفورية أثناء عقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات .

وتوجد قاعتان متوسطتان على الجهة اليسرى من الباب الرئيسي ، إحداهما مخصصة للدوريات الحديثة (للمجلات والصحف) التي ترد للمكتبة عن طريق الإيداع أو الاشتراك ، ويبلغ عدد عناوينها زهاء ٥٠ عنواناً . ويبلغ عدد الدوريات المشترك بها حتى سنة (١٩٨٠) بخمس وعشرون مجلة وصحيفة عربية وخمس عشرة دورية باللغات ، كما يوجد معرض خاص لهذه المجلات والدوريات خلف رفوف زجاجية .

القاعة الثانية مخصصة كمعرض للفن التشكيلي الدائم والتابع إلى وزارة الاعلام ، وفي الطابق الأرضي توجد إلى اليمين من الباب الرئيسي قاعة مخصصة لعرض الكتب وهي تحتوي على ستة رفوف مائلة للعرض وذلك لعرض بعض الكتب النادرة .

الأقسام الرئيسة للمكتبة :

١ - قسم التزويد .

٢ - قسم الإيداع القانوني .

٣ - قسم الفهرسة والتصنيف .

٤ - قسم البيليوغرافيا الوطنية .

٥ - قسم الإعارة والمراجع .

٦ - قسم الدوريات .

٧ - قسم الإدارة والذاتية .

١ - قسم التزويد :

وهو المسؤول عن جمع وشراء وتبادل وإهداء الكتب مع المكتبات الأخرى ، وتسجل وتدقيق المطبوعات الواردة من جهات رسمية وغير رسمية في سجلات خاصة بالاستلام .

ولكن شعبة التبادل والإهداء ، استقلت عنه فيما بعد وتشمل أعمالهم بتنظيم العلاقة مع ٥٠ خمسين مكتبة وطنية وقومية في الوطن العربي والعالم . وتبادل البيليوغرافيا الوطنية والنشرات التي تصدرها المكتبة .

٢ – قسم الإيداع القانوني :

موقع هذا القسم في الطابق الأول ، وهو القسم الذي يقوم بمهمة تسجيل المطبوعات العراقية والأطروحات والأشرطة المسجلة والنوتات الموسيقية والصور الفوتوغرافية والخرائط .

٣ – قسم الفهرسة والتصنيف :

ويتكون من شعبتين هما :

آ – شعبة المطبوعات العراقية . ب – شعبة المطبوعات الأجنبية .

ويضم خمسة عشر مكتبياً يحملون شهادة دبلوم مكتبات وتقوم هاتان الشعبتان بفهرسة وتصنيف المطبوعات العربية الأجنبية إلى مجموعات المعرفة الأساسية (ما عدا الدوريات التي لها تصنيفها الخاص) وتخصيص رقم الموضوع مع ثلاثة حروف من اسم المؤلف .

٤ – قسم البيليوغرافيا والإحصاء :

يقوم هذا القسم المهم بالنسبة للخدمة المكتبية والعلاقات بعدة أعمال أساسية فيما يخص المكتبة الوطنية وهي :

آ – إصدار البيليوغرافيا الوطنية العراقية ، وهي نشرة فصلية .

ب – إصدار بيليوغرافيا سنوية ابتداءً من عام ١٩٧٥ .

جـ – إصدار نشرة فصلية مطبوعة بآلة استنساخ (الرونيو) عن نشاط المكتبة فيما يخص حركة المطبوعات والمستعيرين والإعارة خلال ثلاثة أشهر .

د – تهيئة ببليوغرافيات في المناسبات الوطنية .

موقع هذا القسم في الطابق الأول .

٥ – قسم المراجع والإعارة :

يعد هذا القسم من أنشط الأقسام في أداء واجبات المكتبة تجاه المجتمع وخدمته وهي مساعدة الباحث والطالب على الوصول إلى المراجع والمصادر بأسرع وقت وأقل الجهود ، وبلغت نسبة عدد المطالعين في عام ١٩٧٦ (٤٧٢٦٧) قارئاً . أما الكتب المعارة فهي ٢٦٫٥٣٢ ، أما الدوريات المعارة فهي ٢٦٠٦ منها ٦٧٦ كتاباً للغات الأجنبية مثل الإنكليزية والفرنسية والألمانية و ٤٠ كتاباً باللغتين الكردية والتركمانية .

موقع هذا القسم كذلك في الطابق الأول ، كما يضم في الجناح الغربي منهُ قاعة ضخمة للمطالعة تتسع ثلاثمائة قارىء تحتوي على ١٢ غرفة مستقلة ويبلغ مجموع القاعات للمطالعة في المكتبة (٦) قاعات .

٦ – قسم الدوريات :

يقوم موظفو هذا الركن المهم من المكتبة باختيار وشراء وتجليد وعرض الدوريات بعد فهرستها وتصنيفها في لوحات مزججة ، كما يحتفظ بالصحف والمجلات الصادرة في مصر ولبنان منذ العشرينات ويبلغ عدد مجلداتها حتى بداية مايس ١٩٧٧ زهاء عشرين ألف دورية .

٧ – قسم الإدارة والذاتية :

ويكون هذا القسم مسؤولاً عن إدارة شؤون الموظفين والحسابات والطابعة وآلة استنساخ والرونيو .

وقامت وزارة الاعلام برفد الكادر العامل في هذه المكتبة بتعيين خريجي قسم المكتبات من الجامعة المستنصرية ، وبخاصة في قسم الاحصاء والببليوغرافيا الوطنية ، مما

٢ – قاعة للمطالعة مخصصة للشباب تتسع لـ ٣٠٠ مطالع .

٣ – قاعة للأطفال تتسع لـ ٣٠٠ طفل .

٤ – قاعة عامة للمطالعين تتسع ٤٠٠ مطالع .

٥ – قاعة للمكفوفين تتسع ٥٠ مكفوفاً .

٦ – قاعة للباحثين في المخطوطات تتسع لمائة باحث .

٧ – قاعة للدوريات تتسع لمائة مطالع للدوريات المختلفة مع أجهزة العرض اللازمة .

٨ – قاعة للمراجع العامة .

٩ – قاعة خاصة بالخرائط والمصورات الجغرافية وأوراق البردي تتسع لـ ٥٠ باحثاً .

١٠ – قاعات مخصصة للإجتماعات .

نشاطاتها : قامت دار الكتب بعدة نشاطات مهمة إسهاماً منها في دعم الثقافة والحركة الأدبية والعلمية بثلاث نواحٍ أساسية هي :

١ – في مجال الثقافة والعلوم .

٢ – في مجال إدارة الشؤون المكتبية .

٣ – في مجال إدارة الشؤون الإدارية والمالية .

اهتمت حكومة الثورة بتنظيم الكتب وتطوير عمل هذه الدار من أجل خدمة الرواد والمطالعين والباحثين من نواحٍ عديدة وأهم هذه المجالات الثقافة والعلوم حيث ساهمت الدار في عدة مؤتمرات عقدت في الوطن العربي والمؤتمرات العالمية نذكر باختصار وهي :

المؤتمر الدولي للمكتبات عام ١٩٥٥ في بروكسل ، وإقامة حلقة دراسية للمكتبات ، تبادل المطبوعات بين الدول العربية التي عقدتها جامعة الدول العربية في

دمشق ١٩٥٧ ، ومؤتمر منظمة اليونسكو الدولي لبحث مشروع التبادل الدولي للمطبوعات . وفي الحلقة الإقليمية لمنطقة اليونسكو في بيروت ١٩٥٩ ، وفي المؤتمر الدولي للمستشرقين في الاتحاد السوفييتي سابقاً عام ١٩٦٠ م .

تنظيمها : قامت الحكومة والإدارة المسؤولة عن هذه الدار بتطوير عملها في الجانب التنظيمي والقانوني ومن خلال :

١ - صدر عام ١٩٥٥ قرار للإيداع القانوني للمطبوعات في دار الكتب الوطنية وحدد لذلك خمس نسخ من كل مطبوع لحماية حق المؤلف . وفي سنة ١٩٦٢ أصدرت نشرة لإحصاء إسهام العلماء والمفكرين والأدباء والباحثين العرب في تطوير الثقافة والعلوم والحضارة الإنسانية .

٢ - صدر عام ١٩٥٦ قانون إعادة تنظيم دار الكتب وتقسيم العمل في دار الكتب على الأدوات والأقسام التالية :

آ - إدارة الشؤون المكتبية :

وتتضمن قسم التزويد والفهارس العلمية للكتب والمخطوطات والدوريات المختلفة . وتعمل على تطوير العلاقات الثقافية والعلمية بين دار الكتب والمكتبات والمؤسسات العملية والثقافية في الوطن العربي والعالم وتبادل المخطوطات والاهتمام بالإيداع القانوني بنسخة من كل مطبوع وإصدار نشرات المراجع العربية والشرقية والأوربية .

ب - إدارة الخدمات المكتبية :

وتقوم بتأمين الإعارة الداخلية والخارجية وخدمة المطالعين والباحثين ونشر الثقافة العامة عن طريق المكتبات الفرعية وإقامة المعارض الفنية ومعارض الكتب والدوريات في المناسبات الوطنية والقومية وتشرف على الأقسام الأربعة لها وهي :

١ - قسم الإعارة الداخلية والخارجية .

٢ - قسم الأمناء .

٣ – قسم الإرشاد .

٤ – قسم المكتبات الفرعية .

جـ – إدارة الشؤون المالية والإدارية :

وتقوم بالإشراف على الأقسام والشعب التابعة لها وهي : الإدارة العامة والسكرتارية والحسابات والمحفوظات والمطبعة والمخازن والمستخدمون والتي تقوم بعدة نشاطات مثل تكبير أفلام المخطوطات العربية وعرضها وإصدار مصادر التراث العربي المخطوط وفهارس المخطوطات وطباعتها وتصويرها ونشرها .

النشرة العربية للمطبوعات :

بدأت بالصدور منذ سنة ١٩٥٥م وقد تغير الاسم إلى نشرة الإيداع القانوني منذ سنة ١٩٦٩م وهي نشرة شهرية صدرت لها عدة تجميعات أحدها يغطي الفترة من سنة ١٩٥٥م – ١٩٦٠م والآخر يغطي الفترة ١٩٦١م – ١٩٦٢م والثالث سنة ١٩٦٣م وهي نشرة فصلية وتحتوي على أربعة أقسام :

١ – **القسم الأول** : رتبت فيه الكتب وفق موضوعاتها وحسب نظام ديوي .

٢ – **القسم الثاني** : يحتوي على معلومات عن الكتب المدرسية وكتب الأطفال مرتبة موضوعياً وهجائياً بالعناوين .

٣ – **القسم الثالث** : يحتوي على الكشافات التالية وهي :

آ – كشاف بعناوين الكتب مرتب هجائياً .

ب – كشاف بأسماء المؤلفين والمترجمين مرتب هجائياً .

ج – كشاف بالموضوعات المستعملة في النشرة ومرتبة هجائياً .

٤ – **القسم الرابع** : يحتوي على بيانات عن الكتب الصادرة في مصر في هذه الفترة باللغات الأوربية مع كشافات خاصة بها .

المكتبات في الكويت

١ – المكتبة المركزية :

نشأت المكتبة منذ ١٩٣٦ وتحت أسماء عديدة وأولها المكتبة الأهلية العامة ومن ثم مكتبة المعارف العامة وأخيراً سميت بالمكتبة المركزية ومكانها في منطقة المباركة وهي بالأصل مدرسة المباركية .

نشاطات المكتبة : تحرص هذه المكتبة على تجميع وحفظ وتنظيم المجموعات الخاصة بالكويت والدول العربية وعلى أساس هو :

١ – مجموعة الكويت والخليج العربي .

٢ – مجموعة الدراسات الإسلامية .

٣ – مجموعة الشرق الأوسط .

٤ – الدراسات النفطية .

٥ – المجموعات التشريعية .

تقوم شعبة الفهرسة والتصنيف باتباع نظام ديوي في تصنيف الكتب ويعتمد على تقسيم الموضوعات والمعرفة إلى عشرة أقسام رئيسية وكما هو في المكتبات العربية الأخرى وتوجد شعب وأقسام أخرى أنشئت في سنة ١٩٧٤م مثل شعبة الدوريات وتعتبر مكتبة عامة للصحف والمجلات الكويتية والعربية وتحتوي على أرشيف للمعلومات المحلية وحسب إحصائية عام ١٩٨٥ فإن مجموع الدوريات هوستة آلاف مجلد من الدوريات العربية والأجنبية .

وشعبة الأجهزة السمعية والبصرية : وأنشئت كذلك عام ١٩٧٤م وتعمل هذه الشعبة على توفير هذه المواد لجميع المكتبات العامة وبلغ حجم المواد المسجلة في الشعبة ٣٣٠٥ مادة حتى نهاية عام ١٩٨٥ وتقوم هذه المكتبة بمهام الإعارة الداخلية والخارجية ووفق الإحصائية للفترة من سنة ١٩٨٠م – ١٩٨٤م بلغ عدد القراء في عام

١٩٨٠م / ٩٣٠٨/ قارئ ، مع أن هذه المكتبة حديثة العهد بالقياس إلى بقية المكتبات ولكن نشاطها الببليوغرافي واسع حيث شمل على عدة مجالات من المعرفة والأنواع الببليوغرافية المتعددة . بالإضافة إلى مكتبة الجامعة والتي تقوم بمهام المكتبة القومية في الكويت .

وبادرت إدارة المكتبات العامة بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إلى إصدار (سجل الإنتاج الفكري في الكويت خلال عام ١٩٨٣م كجزء من المشروع الببليوغرافيا الوطنية الكويتية وتصدر مرة واحدة في السنة بالإضافة إلى وجود خطة للعمل الببليوغرافي للمكتبة المركزية وهي :

١ – قائمة ببليوغرافية بالدوريات الغربية .

٢ – قائمة بالمطبوعات العربية الصادرة خلال عام ١٩٨٣م .

٣ – قائمة بالمخطوطات الموجودة بالمكتبة المركزية للدولة .

٤ – قائمة بالندوات والمحاضرات التي سجلت حتى نهاية عام ١٩٨٥م .

٥ – قائمة رسائل الدكتوراه والماجستير .

٦ – قائمة بكتب الأطفال والمكتبات العامة في الكويت .

٧ – قائمة بالمطبوعات الحكومية .

وصدرت الببليوغرافيا الكويتية لعام ١٩٨٥م وهي خاصة بالإنتاج الفكري للكتب العربية الموجودة في المكتبة المركزية لعام ١٩٨٤م والتي تضم ٨٢٢م كتاباً للمؤلفين الكويتيين وغير الكويتيين وفي هذا المطبوع اعتمد الوصف الببليوغرافي ككل كتاب حسب قواعد الفهرسة الوصفية الأنجلو الأمريكية الطبعة الثانية .

وأخيراً وضع المشروع الخاص بإنشاء مكتبة وطنية للدولة ضمن الخطة الخمسية للأعوام من ٨٦/٨٥ إلى ٩٩٠/٨٩ من قبل المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ويتضمن ما يلي :

« إقامة مكتبة وطنية تواكب الإحتياجات المتزايدة للمواطنين من كل المستويات وتلبي احتياجات التوسع في التعليم العالي ومجال الأبحاث مع مواصلة الجهود لإقامة مكتبات عامة جديدة بهدف توفير الثقافة العامة للمناطق السكنية كافة والعمل على

إصدار فهرس وطني موحد يضم جميع محتويات مكتبات البلاد على أحدث النظم المطبقة عالمياً » .

أما موقعها فلقد حدد على أساس المكتبة الوطنية للدول في شارع الخليج العربي بمنطقة القبلة وقدرتها الإستيعابية عند دخولها الخدمة هي نصف مليون كتاب على أن تبلغ مجموعاتها القصوى مليون كتاب عام ٢٠٠٠ وزيادة الأجهزة السمعية والبصرية في نظام الكمبيوتر .

٢ – مكتبة الجامعة :

وهي المكتبة الرئيسية والجامعية (قبل افتتاح المكتبة المركزية) ألا وهي مكتبة جامعة الكويت . وتقوم بنشاط المكتبة القومية (سابقاً) في عدة مجالات وهي :

١ – مهمة التوثيق والببليوغرافيا .

٢ – مهمة التبادل والإهداء .

٣ – مهمة التصوير للمطبوعات والوثائق .

٤ – مهمة الخدمة المكتبية لطلاب الجامعة وهيئة التدريس والباحثين .

والخدمة المكتبية الأساسية لجميع المكتبات هي التوثيق والببليوغرافيا بالإضافة إلى الفهرسة والتصنيف والإعارة .

وفي هذا المجال قامت جامعة الكويت بإعداد ببليوغرافيات عديدة منها :

آ – المتخصصة في موضوعات معينة :

ورتبت هذه الببليوغرافيا ترتيباً موضوعياً وجغرافياً واشتملت على المراجع والكتب والدوريات والمقاولات والنشرات التي صدرت باللغات الأجنبية في المنطقة والتي بلغت ١٣٠٠ مرجع تغطي الموضوعات التي التي تخص المنطقة العربية وسميت :

Selected bibliograyph on kuwait and the Arabian Gulfmag 1969.

ب – البيليوغرافيا المختارة عن الكويت والخليج العربي :

وتشمل جميع الموضوعات التي تخص هذه المنطقة وباللغة العربية ومن عدة مراجع وكتب ومقاولات ودوريات واشتملت على ٧٩٤ مرجعاً ، وذلك في تموز ١٩٧٠م .

جـ – تقوم وحدة البيليوغرافيا والبحوث بالعمل على جمع كل ما يصدر عن الكويت والخليج العربي وذلك بهدف جمع المعلومات في بيليوغرافيا شاملة وبدأت بالخطوات الأولى منذ سنة (١٩٧١) على أن تتضمن هذه البيليوغرافيا مستخلصات للمقالات العلمية والكتب والتقارير .

وقد بدأ العمل أولاً في المراجع والمصادر الأجنبية وقامت بإعداد قوائم طلب للمصادر الأجنبية . و تم استلام قسم منها . وثمَّ جمع مصادر حول هذا الموضوع بلغ مجموعها ٨٠٠ مرجع جديد بحيث أصبح المجموع الكلي للمصادر الأجنبية نحو ٢١٠٠مرجع بالإضافة إلى البدء بوضع رؤوس موضوعات خاصة بها .

المكتبات في تونس

دار الكتب الوطنية :

تكونت أول نواة مكتبية في عهد الحماية الفرنسية في شارع روسيا سنة ١٨٩١م ، ثم تحولت إلى مقرها الحالي الكائن بسوق العطارين سنة ١٩١٠م وأطلق عليها اسم المكتبة العمومية .

وأطلق عليها اسم (دار الكتب الوطنية) اثر استقلال البلاد سنة ١٩٥٦ . إدارياً تتبع هذه المكتبة وزارة الشؤون الثقافية ويعمل بها ١٦٣ موظفاً بينهم ٨٧ متخصصاً في أعمال المكتبات و ٣٤ موظفاً إدارياً و٤٢ عاملاً ماهراً . أما ميزانيتها الإجمالية فتبلغ /٣٥٠,٠٠٠/ دينار تونسي .

وقام بإدارتها مسؤولين من المحافظين التونسيين . بذل كل واحد منهم جهوداً نلمس ثمارها الآن من خلال مجموعاتها وتنظيمها ومطبوعاتها مثل النشرات الببليوغرافية الوطنية العربية الخاصة في جميع ما يصدر من مطبوعات داخل الوطن العربي . ولقاء خدماتها للمجتمع التونسي والعربي وتطوير مجموعاتها وإعطاء نتيجة أفضل ما قامت الحكومة بتخصيص موقع آخر الآن وهو قرب مقبرة سيدي أحمد السقا بشارع ٩ أبريل والإيعاز للمعماريين الفنيين بإعداد بناية عصرية وبرج من ٨ طوابق مع رصد ميزانية كبيرة لهذا الغرض تقوم هذه المكتبة بعدة مهمات أساسية هي :

١ – جمع وحفظ المطبوعات الوطنية والوسائل السمعية والبصرية التي تشمل نواحي المعرفة البشرية بأجمعها .

٢ – تنشر الببليوغرافيا الوطنية للمطبوعات والتراث القومي والثقافي التونسي .

٣ – تقوم بالتبادل الداخلي في القطر وخارجه .

٤ – تقوم بوظيفة الإيداع لكل ما ينشر في القطر التونسي .

٥ – إضافة إلى القيام ببقية الخدمات المكتبية وهي :

آ – الفهرسة والتصنيف .

ب – الإعارة للقراء .

جـ – إقامة الندوات والمعارض .

هذا وتصدر الببليوغرافيا الوطنية التونسية سنوياً للمطبوعات التونسية (الرسمية ، وغير الرسمية) بالإضافة إلى النشرة العربية للمطبوعات العربية لعام ١٩٨٥ وهي خاصة بما يصدر في الوطن العربي خلال هذه السنة باستثناء الكتب المدرسية وذلك بوساطة بنك الفارابي للمعلومات وعن طريق المعالجة الآلية للبيانات الببليوغرافية استناداً إلى النظام الآلي لمعالجة العمل الببليوغرافي وتغطي هذه النشرة الفترة الزمنية من ١٩٧٨–١٩٨٥م وما يعادل حوالي ١٩٠٠٠ كتاب أو معلومة وفيها قسمان رئيسيان هما :

١ – قسم المطبوعات باللغة العربية .

٢ – قسم المطبوعات باللغة الأجنبية ومن ثلاثة فروع أساسية هي :

١ – الكتب العامة ، ٢ – كتب الأطفال ، ٣ – المطبوعات الحكومية .

والحقت في نهايتها كشافين الأول للمؤلفين والثاني للعناوين واعتمدت على قواعد التقنين الدولي للوصف الببليوغرافي للكتب (تدوب) والتصنيف والاعتماد على تصنيف ديوي العشري في طبعته الأولى التي أصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – إدارة التوثيق .

مجموعاتها : إن مجموعات هذه المكتبة على أنواع : (مطبوعات ، مخطوطات ، دوريات ، خرائط ... إلخ) . بالإضافة إلى رصيد قديم هام ، يتعلق بصورة خاصة بمنطقة شمال أفريقيا والعالم العربي وبلدان البحر الأبيض المتوسط وتعتبر من المجموعات المهمة باللغة العربية واللغات الأجنبية .

وكانت موجوداتها من الكتب حتى نهاية عهد الاحتلال الفرنسي كما يلي :

مطبوعات عربية ٣٣٫٠٠٠ مجلد .

مطبوعات غير عربية ٢١٫٥٠٠ مجلد .

وفي سنة ١٩٨٣ بلغت هذه المجموعات من المطبوعات العربية ٣٠٠ر٠٠٠ مجلد.

ومن المطبوعات غير العربية ٤٥٠ر٠٠٠ مجلد .

وكان مجموع ما فيها من المخطوطات قبل ذلك لا يتجاوز عددها ٤ر٩٠٠ مخطوط وبعد تجميعها من مكتبات عديدة وخاصة مثل مكتبة الأحمدية والتي ضمت ٦ر٤٦٤ مخطوطاً والمكتبة الصادقية والتي ضمت ٥ر١٤٠ مخطوطاً وبعد تبرع شخصيات علمية وأفراد والشراء الخاص بدار الكتب الوطنية لمكتبات خاصة بلغ مجموع الفهارس التي سجلت فيها ٨ فهارس الأول خاص بمكتبة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب ومجموعها ٩٥١ مخطوطاً والثاني جزء من المكتبة الأحمدية . والستة فهارس الباقية سجل فيها ما معدله ١٠٠٠ مخطوط لكل فهرس .

أقسامها : وفق المهمات الملقاة على عاتق هذه المكتبة والخدمات المكتبية التي تقوم بها خصوصاً في مجال البحث العلمي والمساهمة في تطوير التنمية الثقافية والعلمية وجدت أقسام عديدة وذلك حسب وظائفها وهي على النحو الآتي :

١ - الإدارة العامة .

٢ - الأمانة العامة .

٣ - قسم المخطوطات .

٤ - قسم المطبوعات .

٥ - قسم الدوريات .

٦ - قسم الإيداع الشرعي .

٧ - قسم الحفظ والمناولة .

٨ - قسم الشراء .

٩ - قسم العلاقات الخارجية .

الجزائر

المكتبة الوطنية :

تأسست عام ١٨٣٥ اثر الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقرها الحالي في شارع فرازفانون .

تعاقب على إدارتها منذ تأسيسها عدة علماء فرنسيين وجزائريين وتم إصدار التشريع اللازم لها وتحديد أوقات الدوام .

مساحة المكتبة حالياً تبلغ ٤٨٠٠م٢ ، تحتوي على ثلاث قاعات للمطالعة وتتسع القاعة الواحدة ١٥٠ قارئاً .

ووفق القانون الصادر عام ١٩٧٠ حددت مهام وواجبات هذه المكتبة والتي تطورت وفق الظروف السياسية بعد الاستقلال وهي :

١ - حفظ التراث الجزائري من كتب ودوريات ومخطوطات ووسائل سمعية وبصرية بالإضافة إلى المجموعات الجديدة المحلية والكتب التي كتبت عن الجزائر في الخارج بالنسخ والتصوير .

٢ - نشر البيليوغرافيا الوطنية .

٣ - تطوير القسم العربي بصورة خاصة بعد أن كان مهملاً في الماضي .

مجموعاتها : وفق القانون الصادر عام ١٩٤٣ والمرسوم الصادر عام ١٩٥٦ الزم الناشرون والطابعون في الجزائر بإيداع خمس نسخ في المكتبة من كل ما يطبع داخل الجزائر من مؤلفات ودوريات وتحتفظ المكتبة بنسخة لديها . ونسخة أخرى لقيد الإعارة ونسختين لقسم التبادل ونسخة ترسلها إلى قصر الحكومة لتحفظ في مكتبته . وتحتوي هذه المكتبة على مجموعات كبيرة من الكتب والدوريات والمخطوطات القديمة باللغة العربية والفرنسية وباقي اللغات مثل بالإنكليزية والروسية .

أقسامها الرئيسية :

للمكتبة عشرة أقسام وفق أهداف المكتبة والمهمات التي تقوم بها من خدمات مكتبية وثقافية هي :

١ – القسم العربي .
٢ – القسم الدولي .
٣ – قسم المخطوطات .
٤ – قسم الدوريات .
٥ – قسم الإيداع القانوني والببليوغرافيا الوطنية .
٦ – قسم التبادل .
٧ – قسم البحث العلمي وهو القسم الذي يعد الكتب والصحف والمجلات لتحضيرها للنشرة الببليوغرافية .
٨ – قسم التجليد والترميم .
٩ – قسم الإعارة .
١٠ – قسم التنشيط الثقافي والعرقات الخارجية .

وصدر الآن قانون جديد للإيداع بعد أن كان القانون القديم يلزم كل دار نشر بتزويد المكتبة الوطنية بأربع نسخ وإرسال المطبعة نسخة منه .

ولكن إذا طبع الكتاب خارج الجزائر فترسل أربع نسخ منه للمكتبة وتعفى المطبعة من إرسال نسخة . والقانون الحالي وضعه الجزائريون المختصون بهذا المجال بعد أن كان القانون القديم قد وضعه الفرنسيون .

وصدرت عن المكتبة الوطنية ببليوغرافيا وطنية تضم النشرات والدوريات التي تصدر في الجزائر وتصدر كل ستة أشهر وتسمى « الببليوغرافيا الجزائرية » بالإضافة إلى ببليوغرافيا تضم النتاج الجزائري في عشر سنوات من كتب ومقالات مما صدر في الجزائر وخارجها سواء كان في البلدان العربية أو الأجنبية .

وصدر هذا النتاج بعد صدور قانون الإيداع في ٢٧ أيلول عام ١٩٥٦ ويلزم فيه كل دار نشر بتقديم أربع نسخ من الكتب التي تنشرها للمكتبة الوطنية .

مصادر الفصل الخامس

١ - بداية الطباعة باستنبول وبلاد الشام : تطور المحيط الثقافي - وحيد قدورة، تونس : الجامعة التونسية ، ١٩٨٦ - ٣١١ص .

٢ - تاريخ الطباعة في الشرق - خليل صابات - القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٥٨ .

٣ - دليل مدارس علم المكتبات والمعلومات في الوطن العربي - إعداد محمد أحمد اثيم ، تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٨٤ - ١٩٥ص .

٤ - مكتبة الأسد الوطنية - وزارة الثقافة - دمشق - مطابع الوزارة ، [د.ت] - ٨٦ص .

٥ - المكتبة الوطنية وآفاق تطورها - فؤاد قزانجي - بغداد : وزارة الاعلام ، ١٩٧١ - ٨٧ص ، ٢٤ سم .